الفصل الرابع

معالم الفكر التربوي عند الإمام

- مقدمة .
- مفهوم التربية .
- مجالات التربية .
- مراحل التربية .
- مبادئ التربية .
- أركان العملية التعليمية وهي (العلم – المتعلم – المعلم) .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع

معالم الفكر التربوي عند الإمام

مقدمـــة :

يتنـاول هـذا الجـزء مـن الدراسـة بعضـاً مـن القضـايا التربويـة مـن خـلال كتابـات ومؤلفات الإمام (أبوزهرة) ، من هذه القضايا مفهوم التربية ومجالاتها ومراحلها ومبادئها وأهم أركان العملية التربوية ، حتى يتضح من خلالها معالم الفكر التربوى عند الإمام وهى فيما يلى :

مفهوم التربية :

التربيـة مـن المفـاهيم والمصـطلحات التـي وردت لهـا تعريفـات كـثيرة ومتعـددة نظـرا لأن:" التربيـة عمليـة متشـعبة ، ذات أسـاليب متنوعـة ، وتهـدف إلى إيصـال الإنسـان شـيئا فشيئا إلى درجة كماله التي هيأه الله لها ، وبذلك يستطيع القيام بحق الخلافة في الأرض عن طريق إعمارها ، وترقية الحياة على ظهرها وفق منهج الله ".(١)

فالتربيـة مصـطلح واسـع ، يحتـوي علـى جوانـب كـثيرة ، ومجـالات متعـددة ، وإن كانت جميعها تهدف إلى تحقيق النمو في مختلف جوانب النمو الإنساني ، " إن التربية هي إيصال المربي إلى درجة الكمال التي هيأه الله لها ، فالتربية هي حيثية إيماننا بألوهية الله ، فنحن آمنا بالله معبودا لأننا آمنا به ربا ، ولذلك يقول الحق سبحانه حين يطلب منا أن نوجه الحمد لصاحب النعمة (الحمد لله رب العالمين) وحيثية ذلك أنه رب العالمين ".(٢)

وقد ذكر الإمام معنى (الرب) في قوله تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الفاتحة : ١

(١) على أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، **مرجع سابق** ، ص ٣١ .
(٢) محمد متولي الشعراوي: **منهج التربية في الإسلام**،القاهرة ، دار المسلم ، د.ت ، ص ص ١٢،١١.

بقوله: "والرب وصف الله تعالى مأخوذ من رب الشيء يربه بمعنى قام بإصلاحه وتقويمه وتتبعه بالإصلاح والتنمية في كل أدواره ، وروى أن النبي ﷺ قال : (هل لك عليه من نعمة تربها) أي تصلحها وتنميها ، ثم أطلقت كلمة (رب) على الله سبحانه وتعالى، وهذا المعنى يتلاقى مع (ربى) فإن التربية هي الإصلاح والتغذية والعمل على الإنماء، ولقد جاء في الصحاح للجوهري " رب فلان ولده يربه ربا، وتربية بمعنى : رباه ، والمربوب المربي ".(١)

فالتربية كما ذكر الإمام عملية تنمية وإصلاح وتغذية بصفة مستمرة ، وأن الرب هو القائم على الإصلاح والتنمية كما أوضح الإمام : " يصح أن نقول إن الرب من ربه بمعنى نماه ، أو من التربية بمعنى الإصلاح والإنماء ، والمعنى في الحالين أن الله رب العالمين بمعنى مغذيهم ومنميهم والقائم عليهم والمصلح لهم ، والمدبر لأمورهم ، وهو مربيهم لأنه القائم عليهم، والمهذب لهم بما خلق فيهم من عقول مدركة تدرك الخير والشر ، وتختار ما تفعل وتحاسب على ما تقدم من خير فتنال به الثواب ، وما تكسب من شر فينالها العقاب ".(٢)

وعلى هذا فالمربي هو المهذب والقائم على الإصلاح والتوجيه والإرشاد إلى ما فيه الخير والتزامه ، وإلى ما فيه الشر واجتنابه ، ولله المثل الأعلى ، والتربية عملية تغذية وإصلاح تهدف إلى رعاية الإنسان وتحقيق قدر من النمو في مختلف جوانبه الجسمية والعقلية والأخلاقية والاجتماعية ، وتوجيهها نحو ما هو خير للإنسان وللمجتمع ، وفق منهج الله بما يحقق خلافة الإنسان على هذه الأرض ، وقيام الإنسان بمهامه التي كلفه الله بها على هذه الأرض من أجل عمارتها وإصلاحها ، بما يعود بالخير على الفرد بصفة خاصة وعلى المجتمع والجماعة بصفة عامة .

(١) محمد أبو زهرة : زهرة التفاسير ، جـ ١ ، **مرجع سابق** ، ص٥٨ .
(٢) **المرجع السابق** : ص ٥٨ .

وقد جمع الإمام كل ذلك بقوله فى التربية بأنها:"الإصلاح والتغذية والعمل على الإنماء"(١)، فهذا التعريف وإن كان موجزا وقصيرا في ألفاظه ، إلا أنه عام وشامل في معانيه ، حيث يؤكد على أن التربية تهدف إلى إصلاح الناشئة وتقويمهم ورعايتهم وتزويدهم بما يحتاجون إليه في مختلف مراحل نموهم ، بما يسهم في تحقيق نموهم في مختلف جوانب النمو بصفة مستمرة .

مجالات التربية :

تتعدد وتتنوع جوانب شخصية الفرد إلى العديد من الجوانب سواء الروحية أم الجسمية أم العقلية أم الاجتماعية أم الأخلاقية وغيرها من الجوانب الأخرى لذلك ينبغى أن تتجه التربية إلى تنمية جميع هذه الجوانب تنمية شاملة في ضوء ما نادى به الإسلام من تعاليم وقيم ومبادئ ، حتى تكون تربيتنا للفرد تربية متكاملة من جميع الجوانب ، بما يعود بالخير والمنفعة للفرد والمجتمع على السواء ، وفيما يلي عرض لأهم مجالات التربية والتي يمكن استخلاصها من خلال كتابات ومؤلفات الإمام فيما يلي :

١- التربية الروحية (الاعتقادية) :

تهتم التربية الروحية بإعداد الأفراد وتنشئتهم على سلامة الاعتقاد، وإخلاص النية لله تعالى، فهي لا تقل أهمية عن باقي مجالات التربية الأخرى سواء أكانت جسمية أم عقلية أم اجتماعية أم أخلاقية ، فالتربية الروحية تعمل على تثبيت العقيدة في النفوس بحيث لا يؤثر فيها ما يحيط بها من تحديات ، وقد أكد ذلك الإمام بقوله : " إن التاريخ يثبت لنا أن العقائد لا تنتزع من النفوس انتزاعا ، وتستل من القلوب كما يستل دقيق الشعر مما يعلق به ، ويدخل في نسيجه ، إن العقائد التي تستمكن في القلوب ، وتستقر في

(١) **المرجع السابق** : ص ٥٨ .

ثنايا النفس لا تنتزع منها بفعل قاهر مهما تكن سطوته ، ولا بطغيان جبار مهما تكن قوته لأن العقائد تتصل بالنفوس والأرواح ، والقهر والغلبة سلطانهما على الأبدان لا على القلوب".(١)

فالإمام يؤكد على أن العقيدة تتصل بالنفوس والأرواح ، فكلما استمكنت وتغلغلت في نفس الإنسان فإن ما تتعرض له من ضغوط خارجية لا يؤثر فيها ، لذلك ينبغي تنشئة الأفراد وتنمية الجانب الاعتقادى لديهم ، وتربيتهم على سلامة الاعتقاد .

وتبدأ هذه التربية الاعتقادية من الأسرة التي هي أول وعاء يتلقى الإنسان منذ ولادته ، يشعر الإنسان من داخلها بالراحة والأمان ، وهي التي تعمل على تربية وإعداد الفرد للحياة الاجتماعية، وصفها الإمام بقوله : " هي خلية التكوين الإنساني ، وخلية البناء الاجتماعي، والمهد الذي يتربى فيه النوع تربية يكون بها الإلف والائتلاف مع المجتمع الذي ينشأ فيه ".(٢)

وبقوله : " الأسرة هي نواة المجتمع ، وهي الأساس الذي يقوم عليه البناء الاجتماعي، فإذا صلحت الأسر واستقام حالها في تنشئة أبنائها وتربيتهم تربية اجتماعية سليمة ، فإن ذلك يساعد على بناء اجتماعي سليم ، ولا يتكون بناء قوي إلا من لبنات قوية".(٣)

فعلى قدر تماسك الأسر وترابطها يكون ترابط المجتمع، فالأسر تشبه المجتمع إلى حد كبير، حيث يعيش فيها أفراد تقوم بينهم علاقات على أساس من المودة والرحمة والتعاون ومراعاة حق كل فرد من أفرادها ، وإيجاد نوع من التكافل بين أفراد الأسرة

(١) محمد أبو زهرة : مقارنات الأديان الديانات القديمة ، **مرجع سابق** ، ص ٢٣ .
(٢) ـــــــــــ : زهرة التفاسير ، جـ ٣ ، **مرجع سابق** ، ص ١٦٠٩ .
(٣) **المرجع السابق** : جـ ١ ، ص ٢٩١ .

الواحدة ، وفي مثل هذه الظروف ينشأ الأبناء ويحصلون على جميع حقوقهم كما حددها الشارع في ضوء نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ، ومن ثم ينعكس ذلك في إعداد جيل من الشباب قادر على بناء مجتمعه وتحقيق النمو في مختلف جوانبه ، وإرساء دعائم القيم الإسلامية ، وقد قرر ذلك الإمام بقوله : " إن العناية بالأسرة عناية بالجماعة ، وإن الوطن لا تتربى محبته إلا في بناء الأسرة والنزوع الجماعي ".(١)

ولا تقتصر التربية الاعتقادية على العلاقات داخل الأسرة فقط ، بل لابد من بيئة صالحة ومجتمع قوي يقوم على أساس تربية الأفراد على التآلف والتعاون ، وقد أكد ذلك الإمام بقوله : " إذا كان الإنسان ابن بيئته ونتاج عصرة ، وهو في ذلك كالبذرة الصالحة لا تنبت نباتا طيبا إلا في جو يلائمها ، فذلك الرجل العبقري يبادل عصره ، ويتغذى من حلوه ومره ، ويتجه إلى إصلاحه من بعد "(٢) ، لذلك ينبغي الاهتمام بالمجتمع من حيث تنظيمه وتكوينه والعلاقات القائمة بين أفراده حتى يكون بيئة صالحة ينشأ فيها الأفراد على أساس من المودة والرحمة والائتلاف .

والمجتمع الإنساني في ظل الإسلام مجتمع فريد ومتميز عن غيره من المجتمعات الإنسانية سواء في تكوينه أو في نظامه ، حيث أن مصادره دينية من قرآن وسنة ، وما يقوم به المجتهدين والعلماء إنما هو شرح وتوضيح لذلك ، فقد اشتمل الإسلام على كثير من التشريعات التي تنتظم في ضوئها الحياة الاجتماعية ، وتحقق قدرا من التعاون والتآلف بين أفراده ، فالإسلام دين عام وشامل لكل جوانب الحياة ، وقد ذكر ذلك الإمام بقوله : " الإسلام كما ترى كل فضائله لتربية النفس وتزكيتها ، وجعل العربي وكل مسلم صالحاً

(١) **المرجع السابق** : ص ٢٩١ .
(٢) محمد أبو زهرة : ابن تيمية حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ١٤ .

للائتلاف مع غيره ، وبعد أن كانت كل فضائله في الجاهلية شخصية ، وجهه الإسلام إلى الفضائل الاجتماعية ليلتئم مع سواه ، وبعد أن كانت الشجاعة في المبارزة والمناضلة للمفاخرة ، صارت في الجهاد في سبيل الله لرفع كلمته ، وبعد أن كان الجود ليملأ المعطي ماضغيه فخرا ، صار في إمداد المجاهدين ، وسد حاجة المعوزين ، وإعطاء السائل والمحروم ابتغاء مرضاة الله ، وحنانا وعطفا على بني الإنسان".(١)

فالإسلام جاء وحذر من الفردية والأنانية وحب الذات ، وحث على ضرورة التعاون والتآلف وحب الآخرين ، نظرا لأن الإنسان اجتماعي بطبعه لا يستطيع أن يعيش منفردا عن الآخرين، وقد قرر ذلك الإمام بقوله : " إن نفس كل إنسان فيها نزوع إلى الاجتماع، واستعانة بعضهم ببعض ، وحيث كان الاجتماع لابد من نظام يربط ، وشرع يحكم ، وعقاب يردع ، وإلا أكل القوي الضعيف ، كما يأكل كبار السمك صغارها عند اجتماعها ، وكما تفترس السبع الأوابد من يكون أضعف منها ".(٢)

فالإنسان كما خلقه الله تعالى لا يستطيع أن يحيا منفردا عن الآخرين فهو في حاجة إلى الاندماج معهم ، والارتباط بهم والانخراط في وسط المجتمع ، حتى يشبع رغباته ويحقق أهدافه، ويصل إلى طموحاته ، فبدون التفاعل مع الآخرين لا يستطيع الإنسان أن يحقق ذلك .

وتستند قوة الاعتقاد إلى صحة النية وسلامة الاعتقاد ذاته والاهتمام بتنمية وتدعيم هذا الجانب هو الأساس الذي يسهم في تنمية بقية الجوانب الأخرى ، لأن الشخص الذي يتصف بصحة النية ، وسلامة الاعتقاد يتجه إلى الحقيقة لا يقصد غيرها ، لأن النية

(١) محمد أبو زهرة : الخطابة أصولها تاريخها فى أزهر عصورها عند العرب ، **مرجع سابق** ، ص ٢٠٢ .
(٢) _____ : زهرة التفاسير ، جـ٢ ، **مرجع سابق** ، ص ٦٦٤ .

المخلصة تلقي في قلب الشخص بالنور الذي يرشده ويهديه ، وهذا ما قرره الإمام بقوله : "إن النية المخلصة تجعل القلب يستنير بنور الله تعالى، فينفذ إلى لب هذا الدين الحكيم ويتجه إلى الحقيقة الدينية لا يبغي سواها، ولا يقصد غيرها ، وأن الله تعالى يلقي في قلب المخلص بالحكمة فيهديه ويجنبه ، والشريعة نور لا يدركه إلا من أشرق قلبه بالإخلاص وأما فاسد الاعتقاد بأن يكون ذا بدعة أو ذا هوى ، أو لا يتجه إلى النصوص بقلب سليم فإنه يسيطر على تفكيره ما يمنعه من الاستنباط الصحيح مهما تكن قوة تفكيره ، لأن النية المعوجة تجعل الفكر معوجا "(١) .

فسلامة الاعتقاد تجعل فكر الإنسان سليما لا يتجه إلا إلى طلب الحقيقة لا يبغي سواها، لأن هدفه الأسمى نصرة هذا الدين ، وأما الشخص الذي لا يتمتع بصحة النية وسلامة الاعتقاد ، فإن له مقصد وغرض في معرفة الحقيقة غير مستقيم في تفكيره ومن ثم لا يصل إلى تلك الحقيقة.

والناس في حاجة ماسة إلى تربية اعتقاديه سليمة لأننا : " في عصر فهم الناس الدين فيه منزعا جنسيا ، ولم يفهموه حقا اعتقاديا ، ولا تهذيبا نفسيا ، ولا خلاصا روحيا فكان ذلك حاجزا دون أن تصل الهداية إلى القلوب ، وأن تشرق النفوس بنور الحق".(٢)

لذلك ينبغي على المربين الاهتمام بالجانب الاعتقادي لدى المتعلمين منذ الصغر لأن تنشئتهم على قوة الاعتقاد ، وسلامة النية تعطى الإنسان قوة وجرأة وعزة ، وقدرة على تحمل المسئولية ، وسعي دائم في الوصول إلى الحقيقة بغرض كشفها ومعرفتها، لا لغرض آخر، ومن ثم يتخرج جيل من الشباب قادر على حماية الإسلام والدفاع عنه .

(١) محمد أبوزهرة : أصول الفقه ، **مرجع سابق** ، ص ٣٤٩ .
(٢) _____ : محاضرات في النصرانية ، **مرجع سابق** ، ص ٦ .

٢- التربية الجسمية (البدنية) :

اهتم الإسلام بالجسم الإنساني واعتنى به عناية خاصة من أجل سلامته والحفاظ عليه من الآفات والأمراض ، حيث حدد له أنواع الأطعمة التي يقبل عليها ويأكل منها وأنواع الأطعمة التي تصيب الجسم بالأوبئة والأمراض وعليه تجنبها والابتعاد عنها فقال تعالى:

﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ النحل:١١٣/١١٤/١١٥.

يقول الإمام في تفسيره هذه الآية : " الأمر للإباحة لا للوجوب ، وقد وصف سبحانه وتعالى الأكل الذي وصفه الله وأعطاه ومكن منه بوصفين : أحدهما أنه حلال بأن يكون كسبه لا خبث فيه ، الثاني أن يكون في ذاته طيبا لا خبيثا في ذاته ، فلا يؤكل الخنزير ولا الميتة ولا الدم ولا ما تعافه النفوس ، ومن ذلك سباع الطير وسباع البهائم ، فإن لحم هذه وما يشبهه لحم خبيث ، فكل ما حرمه الله سبحانه من مأكول خبيث الذات يضر الجسم وتعافه النفس ، وقال أهل الطب إن تحريم هذه الأشياء لما فيها من رجس وقذر ، وذلك يضر الجسم ".(١)

فهذه الآية وغيرها آيات كثيرة احتوى عليها القرآن واضحة صريحة في اهتمام الإسلام وعنايته بالصحة الجسمية للإنسان ، لذلك ينبغي على المربين العناية بالصحة الجسمية للمتعلمين من خلال تدريبهم على العادات الصحية في الأكل والشرب والوقاية من

(١) محمد أبوزهرة : زهرة التفاسير ، جـ ٨ ، **مرجع سابق** ، ص ص ٤٢٨٨ ، ٤٢٩٠ .

الأمراض ،والعناية بممارسة أنواع مختلفة من فنون الرياضة ، واجتناب العادات غير الصحية ، هذا ما أكده الإمام بقوله : " الجسم الذي لا يستوفي كل عناصر التغذية ، ويستمد كل أسباب الحياة والنمو من غير إفراط ولا تفريط ، لا تكون الأعصاب فيه سليمة ، ولا كل عناصر التفكير قويمة ، وكثيرا ما يكون سوء التفكير من سوء التغذية ، ونقص الإدراك من نقص الطعام ، وإذا كانت المعدة إذا اكتظت أضرت ، فكذلك إذا خلت أخلت ببنيان الجسم والعقل معا ".(١)

لذلك ينبغي العناية بالصحة الجسمية للمتعلمين ، واستيفاء كل عناصر التغذية لأن في ذلك تمكين لهم من الصبر وقوة الاحتمال في طلب العلم وقدرة على الاستمرارية ومواصلة التعليم ، وبذل مزيد من الجهد وإعمال العقل ، والتركيز في طلب العلم .

ومن مظاهر التربية الجسمية والعناية بصحة الجسم الاهتمام بالملبس والمسكن فقال تعالى:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾ الأعراف : ٢٦

وعن معنى هذه الآية يقول الإمام : " يبين في هذه الآية أن الثياب نعمة أنعمها الله على عباده ، وهي تمهيد لبيان أن ما كان يفعله بعض العرب في الطواف عرايا هو خروج على الفطرة ، وهو خروج على الحياء الإنساني، الذي جعل آدم وحواء يخسفان عليهما من ورق الجنة ، وفيه إشارة إلى تلك الفطرة السليمة ، وإلى ذلك الحياء الفطري الذي هو سمة الإنسانية الرفيعة ".(٢)

(١) محمد أبو زهرة : مالك حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٥٣ .
(٢) _____ : زهرة التفاسير ، جـ ٦ ، **مرجع سابق** ، ص ٢٨٠٤ .

فالله سبحانه وتعالى قد أنعم على الإنسان باللباس الذي يستتر به الإنسان حتى يظهر في أحسن صورة أمام غيره ، ويكون في هيئة لا ترفضها الأنظار فهو جميل يحب الجمال وهو القائل ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾الأعراف : ٣١ . لذلك ينبغي على المربين الاهتمام بالتربية الجسمية للمتعلمين من خلال الاهتمام بملابسهم ، وتدريبهم وتعويدهم العناية بنظافتهم ونظافة ملابسهم ، وتنظيم وتنظيف الغرفة أو المكان الخاص بهم ، لأن مثل هذه الأمور تربية وتدريب لهم على التزام العادات الصحية السليمة التي تسهم في تنمية العديد من جوانبهم الشخصية ، وهذا ما أكده الإمام بقوله : " العناية بالملابس توجد في النفس صفاء وقرارا واطمئنانا ، وهذه أمور من شأنها أن تجعل التفكير يسير في طريق ليس فيه عوج ولا أمت ولا اضطراب ، والعناية بالملبس والمسكن من شأنهما تنمية العزة في النفس ، وإبعاد الذلة والاستخذاء أمام الناس ، فالملبس الحسن والمسكن الحسن يجعل النفس لا تشعر بهوان ولا صغار ".(١)

فالعناية والاهتمام بالتربية الصحية للمتعلمين بما يحقق تربية جسمية سليمة سواء من خلال الأكل أو الشرب أو الملبس أو المسكن من شأنه أن يسهم في تحقيق بقية جوانب التربية الأخرى ، فضلا عن تحقيق كافة أهداف العملية التعليمية نظرا لأن صحة الجسم تعين الفرد على القيام بما كلف به من أعمال والقدرة على بذل الجهد ، وفي هذا تحقيق مصلحة الفرد والنهوض بالمجتمع والحياة الاجتماعية ، " لأنه من المعلوم أن الأمة إذا تمتع أفرادها بعقل سليم ، وجسم قوي ، وإرادة قوية ، وعزيمة جبارة ، وشجاعة فائقة ووعي كامل ، فإنها ستكون المبرزة في الإنتاج ، والسباقة إلى الحضارة ، والأخذ بأسباب

(١) محمد أبوزهرة : مالك حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٥٣ .

النصر والمجد ، والعاملة على تحقيق العزة الخالدة للإسلام والمسلمين والبشرية جمعاء ".(١)

ويدخل في عموم التربية البدنية، التربية الجهادية ، وهذه التربية لا تقوم على القتل والقتال وإنما هي عملية إعداد وتهيئة للمتعلمين للدفاع عن الإسلام وأهله بكل صور وأشكال الدفاع ففي قوله تعالى:﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ مِ﴾ الأنفال:٦٠

يقول الإمام في حقيقة هذه الآية : " هذا أمر تكليفي وهو فرض كفاية على الأمة الإسلامية يجب على الأمة كلها أن تتعاون في إعداد هذه القوة بالدربة والتعليم والرمي وكل ما يربي الجندي القوي ، فكل قوة مستطاعة يجب على الأمة أن تتضافر على إيجادها ، وإلا أثمت كلها ولم ينج من الإثم فقيرها وغنيها ، ولا قويها أو ضعيفها ، فالقادر بقدرته والضعيف بلسانه ".(٢)

ولا يعني ذلك تربية المتعلمين وتدريبهم على أساليب القتل والقتال ، وإنما هي عملية تهيئة لهم وإعدادهم في مواجهة المعتدين ، وتنمية جانب الجرأة والشجاعة والقوة فيهم بما يضمن قدرتهم على مواجهة كافة ما يعترضهم من مشكلات بكل حزم وقوة ، ولا تقتصر القوة في هذا العصر على مجرد القدرة على القتال ، بل إن هناك جوانب أخرى هي الفارق بين الأمم من حيث القوة والتقدم والرقي وهذا ما أكده الإمام بقوله : " وقوة هذا العصر العلم ، فهو قبل شجاعة الشجعان ، بل إن شجاعة الشجعان لا تغني شيئا بجواره إننا يجب أن نساير ركب العلم ،ولا نتخلف عنه ، فإن من يتخلف عنه يعيش في ضلالة عمياء ، لا يعرف فيها ما يعوقه ، وما يحميه ".(٣)

لذلك ينبغي على المربين تربية المتعلمين على الجندية في حدود الأخلاق الإسلامية ،

(١) فؤاد محمد موسى : **مرجع سابق** ، ص ١٤٦ .
(٢) محمد أبو زهرة : زهرة التفاسير ، جـ ٦ ، **مرجع سابق** ، ص ٣١٧٤ .
(٣) محمد أبوزهرة : الوحدة الإسلامية ، **مرجع سابق** ، ص ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

والتي تفرض السلم وعدم الاعتداء ، وقد ذكر ذلك الإمام بقوله : " الأصل في العلاقات الدولية في الإسلام هو السلم ، حتى يكون الاعتداء بالاعتداء على الدولة الإسلامية فعلا أو بفتنة المسلمين عن دينهم ، فالحرب حينئذ تكون ضرورة أوجبها قانون الدفاع عن النفس وعن العقيدة وعن الحرية الدينية ، ولكون الأصل في العلاقات هو السلم الدائم دعا القرآن الكريم إلى السلم عامة فقال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ ﴾البقرة : ٢٠٨ ".(١)

فلم يشرع القتال في الإسلام للاعتداء على الآخرين ، إنما هو حماية ودفاع عن النفس في حالة الاعتداء عليها ، وقد قرر ذلك الإمام بقوله : " إن القتال في الإسلام شرع لدفع الاعتداء ، وأن القتل فيه ألجأت إليه الضرورة ، فتكون هذه الضرورة في أضيق الحدود ، ويفتح الباب ما أمكن لحماية الأنفس والله ولي الصابرين ".(٢)

فمسئولية التربية الجهادية تقع على المربين من خلال إعداد وتربية التلاميذ وتهيئتهم لحماية الدين الإسلامي والدفاع عنه ليس عن طريق الجهاد فقط ، ولكن الأخذ بكل أسباب القوة ، وصور الدفاع المختلفة،ومن خلال الاهتمام والعناية بالتربية الجسمية لهؤلاء المتعلمين ، كل هذا في حدود ما رسمه الشرع من خلال ما نصت عليه آيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ ، وكذلك العمل على تنمية روح الجرأة والشجاعة والإقدام فيهم ، وقدرة على التحمل والصبر وقت المحن والشدائد .

(١)محمد أبو زهرة : العلاقات الدولية في الإسلام ، **مرجع سابق** ، ص ٥١ .
(٢) _____ : نظرية الحرب في الإسلام ، **مرجع سابق** ، ص ٦٣ .

٢- التربية الأخلاقية :

التربية الأخلاقية من أهم مجالات التربية الإسلامية ، حيث أن التربية الإسلامية في أحد جوانبها تهدف إلى تكوين شخصية إسلامية تتحلى بالأخلاق الفاضلة ، وتتخلى عن الرذائل ، فالتربية الأخلاقية وسيلة لبناء خير فرد وخير مجتمع وخير حضارة،وقد قرر ذلك الإمام بقوله: " إن الأساس الأول لبناء المجتمع هو الأخلاق الفاضلة ، وقد عمل الإسلام على تربيتها ، وإنه لا ائتلاف بين جماعة ، كما أنه لا ائتلاف بين الجماعات في أمة إلا على بنيان من الفضائل ".(١)

فالتزام الفضيلة وحسن الخلق هو الأساس الذي تبنى عليه المجتمعات ، فكلما كانت العلاقات القائمة بين أفراد المجتمع على أساس من مكارم الأخلاق كان لذلك أكبر الأثر في تقوية وتدعيم هذه العلاقات ، وقد قرر ذلك الإمام بقوله : " إن من أساس العلاقات الإنسانية في الإسلام التمسك بالفضيلة سواء أكانت العلاقة في حال الحرب أم في حال السلم ، وأيا كان نوع أو جنس الذين يتصلون بهم أو يختلفون معهم ".(٢)

فالمجتمع الذي تسوده الفضيلة وحسن الخلق يتصف بالقوة والترابط والائتلاف والتماسك ، حيث أن الأخلاق هي التي تحكم الإنسان في علاقته مع غيره ، بحيث لا يكون فيها اعتداء على حقوق غيره مع مراعاة حقوقه الشخصية ،وكذلك العلاقات القائمة بين الدول لا يكون فيها ظلم ولا اعتداء ، لأن قانون الأخلاق هو الحاكم والمسيطر.

ويقرر الإمام أن تربية الأخلاق الفاضلة يعتمد على مجموعة من الطرق والأساليب ذكرها الإمام بقوله : " وقد عمل الإسلام على تربيتها بالعبادات أولاً ، ثم بمنع ظهور الشرور وكتمها ثانياً ، ثم تكوين رأي عام فاضل ثالثاً،ولذلك حق للنبي ﷺ أن يقول (إنما بعثت لأتمم

(١) محمد أبوزهرة : تنظيم الإسلام للمجتمع ، **مرجع سابق** ، ص ص ٢٤ ، ٢٥.
(٢) _____ : العلاقات الدولية في الإسلام ، **مرجع سابق** ، ص ٣٤ .

مكارم الأخلاق)".(١)

والأخلاق في الشريعة الإسلامية عامة وشاملة ، وقد أكد على ذلك الإمام بقوله : " الشريعة الإسلامية لأنها قائمة على الفضيلة ، ومشتقة من الفطرة الإنسانية كانت في نظم المعاملات ونظم الأخلاق عامة لا تخص إقليما دون إقليم ، وليست للعرب وحدهم ولكنها للناس ، لأن الأساس الخلقي الفاضل الذي قامت عليه يعم العالم كله ، ولا يخص جنسا أو لونا أو أرضا معينة ، فهي تحقق الوحدة القانونية ، كما هي جامعة لمعاني الفضيلة ".(٢)

وإذا كانت الأخلاق في الشريعة الإسلامية عامة وشاملة فإن القانون الذي تقوم عليه عام وشامل ، لا فرق فيه بين إنسان وآخر كما ذكر ذلك الإمام بقوله : " إن قانون الأخلاق عام وشامل يشمل الأبيض والأسود والأحمر والأصفر ، ويشمل الناس جميعا في كل الأقطار والأمصار ، لا فرق فيه بين من يعيش في مجاهل الأرض ، ومن يعيش في حواضرها ولا فرق بين عالم وجاهل ، وإن ما يكون شرا بين الآحاد في شعب واحد يكون أيضا شرا بين الجماعات والدول ، وما يكون شرا في وطنك يكون شرا أيضا إن صنعته في غير وطنك لأن الفضيلة بمقتضى قواعد السلوك الفاضل حق لكل إنسان يستحقها بمقتضى إنسانيته التي هي وصف مشترك بين كل أبناء آدم ، وقد تقرر ذلك في المبادئ الإسلامية التي تطبق على جميع أهل الأرض ".(٣)

وإذا كانت الأديان السماوية قد اعتنت بصفة عامة بحسن الخلق فإن الدين الإسلامي بصفة خاصة قد اهتم ببناء مجتمع إنساني على الأخلاق الفاضلة ، وقد قرر ذلك الإمام بقوله : " إن الدين هو الذي يربي الوجدان الفاضل ، ويهذب الضمير ، ويوقظ شعور

(١)محمد أبوزهرة: تنظيم الإسلام للمجتمع ، **مرجع سابق** ، ص ٤٧ .
(٢) _____ : المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ، **مرجع سابق** ، ص ٨١ .
(٣)_____ : العلاقات الدولية في الإسلام ، **مرجع سابق** ، ص ٣٤ .

الإنسان بالفضيلة فإرشاده يمس مواطن الإحساس في النفوس ، ويؤثر فيها أبلغ تأثير ويصل إلى الأعماق في الهداية والصلاح ".(١)

فقانون الأخلاق المستمد من الدين يكون أدعى للقبول لأنه ينفذ إلى النفوس مباشرة فيهذب الضمير، ويربي الوجدان ، وينمي شعور الإنسان بضرورة التحلي بالفضائل وكل ذلك لا يكون عن طريق القهر والسلطان ، ولكن يكون من خلال رضا وشعور بالراحة والقبول النفسي ، وقد قرر الإمام أن القوانين والتكليفات المستمدة من الدين لها أكبر الأثر في النفوس ، حيث أنها : " تكون أمس بالوجدان ، وأمكن في الضمير، وأقر في النفس يطيعها الناس لا بعصا السلطان ، ولا بقهر الحكام ، بل بصوت من القلب ، ورهبة من الديان ، ورغبة في النعيم المقيم ، فتكون الطاعة إرهافا للإحساس، وإيقاظا للمشاعر وتنمية لنوازع الخير، وتطهيرا للنفس من نوازع الشر، ولا تكون الطاعة ضربا من ضروب المسكنة والخنوع المطلق من غير أن يمس الوجدان ما في القانون من داعيات الخير، ومرامي الإصلاح ".(٢)

وإذا كان هذا الارتباط بين الدين الإسلامي وقانون الأخلاق ، فإن قانون الأخلاق هو الفيصل وهو المقياس في الحكم على كل ما يصدر عن الإنسان بالخير و الشر، وقد أكد ذلك الإمام بقوله : " قانون الخير والشر واحد من هذه الأرض ، والشريعة الإسلامية قامت على أساس من القياس الخلقي الذي يعم حكمه بالخير والشر على الأفعال وعلى الأشخاص".(٣)

وفي ظل نظرة الإسلام للطبيعة البشرية فيما يتعلق بالخير والشر يقف موقفا وسطا حيث يقرر أن كل مولود يولد على الفطرة وأن التنشئة الاجتماعية هي التي توجه الإنسان

(١)محمد أبوزهرة:الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب ، **مرجع سابق** ، ص ١٥٥.
(٢) _____ : الملكية ونظرية العقد ، **مرجع سابق** ، ص ٦ .
(٣)_____: المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ، **مرجع سابق** ، ص ٨٢ .

نحو الخير أو الشر، وقد ذكر ذلك الإمام بقوله : " النفس البشرية قد هداها الله تعالى النجدين ، طريق الحق ، وطريق الباطل ، وألهمها فجورها وتقواها ، فإذا اتجهت إلى الخير سارت فيه ، وكلما كثرت خيراتها زاد فضلها ، وإذا انحرفت عن الطريق السوي أو سارت فيه ، فإذا نبهت من قريب عادت إلى الفطرة والحق ، وأمامها الأمارات والعلامات المبينة المرشدة ، وإذا لم تنتبه من قريب سارت في الشر، وبمقدار سيرها تأخذ أمارات الحق تختفي أمامها ، حتى تنطمس فلا ترى ".(١)

لذلك ينبغي على المربين وأولياء الأمور تنشئة وتربية المتعلمين على الالتزام بالأخلاق الفاضلة من خلال تدريبهم على الالتزام بها وتعويدهم عليها ، ومن خلال القدوة الحسنة من أنفسهم، وعن طريق شرح وتوضيح وبيان الحكمة فى كثير من الأحكام والتكليفات التى رسمها الشارع الإسلامى من خلال علم الأخلاق وما اشتمل عليه من جملة الحقائق والمعلومات التي تفيد الدارس فى هذا الجانب ، وقد أوضح ذلك الإمام بقوله : " علم الأخلاق هو العلم الذي يبحث في الفضائل ، والمثل الأعلى في السلوك ، فهو يعطي صورة صحيحة للفضائل ، وما يفيد الناس ، وما لا يفيد ، وصلة الفضيلة بالعرف ، وهو في الجملة يعين المتدين على فهم كثير من أسرار الدين ، وما جاء فيه من واجبات وتكاليف فالعلم به يعرِّف الدارس كثيرا من حكم الشرع الإسلامي ، فهو دراسات عقلية ، يجد فيها المتبصر تعليلا صحيحا لكثير من مبادئ ذلك الدين الحكيم ".(٢)

فعلم الأخلاق يعد بمثابة المرجع والمصدر الذي يعتمد عليه الإنسان في فهم كثير من الأحكام والتكليفات الشرعية، وبيان الحكمة منها، ومعرفة وتحديد الفضائل المراد

(١)محمد أبوزهرة : زهرة التفاسير ، جـ ٤ ، **مرجع سابق** ، ص ١٩٧١.
(٢) _____ :الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب ، **مرجع سابق** ، ص ١٦٠.

إكسابها، وأهم الرذائل المراد اجتنابها ، والتي تؤثر على الحياة الاجتماعية والبناء الاجتماعي .

٤- التربية العقلية :

العقل هبة من الله تعالى اختص بها الإنسان دون غيره من المخلوقات ليكون خليفة الله في أرضه، وكان سبب هذه الخلافة أن أودع الله في أصل تكوينه الاستعداد للعلم بالأشياء والأسماء ، " وبما أعطاه من قوة العقل والتفكير والتدبير والسيطرة على نفسه وعلى ما في الوجود ، في الأرض التي خلفه الله عليها ليكون خليفة خلافة نسبية عن الله تعالى ".(١)

والعقل الإنساني هو مناط التكليف في الإنسان ، فبدون العقل لا يكون التكليف وقد قرر ذلك الإمام بقوله : " عماد التكليف العقل ، لأن التكليف خطاب الله تعالى ، ولا يتلقى ذلك الخطاب إلا من يعقل ويدرك معناه ، وأن العقل ينمو ويتدرج وأنه يسير في الكمال منذ الصغر ، وأنه لا يصل إلى حد التكليف إلا إذا اكتمل وتكامل نموه وأن نمو العقل متدرجا أمر خفي لأنه يحدث آنا بعد آن حتى يظهر في نهاية تدرجه كاملا، وأن هذا لابد له من ضابط ظاهر وهو البلوغ فكان البلوغ حدا فاصلا بين نقصان العقل وكماله ، وعند بلوغ ذلك الحد الفاصل يكون التكليف ".(٢)

فالصبي لا يقع عليه التكليف حتى بلوغ سن التكليف واكتمال عقله ، كذلك المجنون لأنه فاقد لعقله لا يستطيع أن يميز بين الأشياء ، أما الإنسان العاقل فهو الذي يستطيع أن يميز بين ما هو حسن وما هو قبيح، وبين ما هو خير وما هو شر ، فهو طريق الإنسان إلى الحق والهداية ، والموازنة بين حقيقة الأشياء والكشف عن ماهيتها ،وإدراك مدى نفعها

(١) محمد أبوزهرة : زهرة التفاسير ، جـ ١ ، **مرجع سابق** ، ص ١٩٥ .
(٢) _____ : أصول الفقه ، **مرجع سابق** ، ص ٢٩٨ .

وضرها بالنسبة له من خلال إعمال عقله ، وسمو تفكيره ، وبذلك تتحقق المنفعة والخير بالنسبة له ، والوصول إلى إدراك الحقيقة ، فالعقل هو أداة المعرفة والعلم بالنسبة للإنسان، عن طريقه يتمكن الإنسان من فهم وإدراك ما حوله ، وهو الموجه والمرشد نحو معرفة ما يجهله الإنسان وقد قرر ذلك الإمام بقوله: " العقل البشري طلعة يتطلع إلى علم ما لم يعلم ، وتعرف ما يجهل دائما ، وخصوصا عقول العلماء المخلصين ، فإنهم يطلبون المزيد دائما".(١)

فإذا كان العقل دائم التطلع إلى العلم والمعرفة ، فإن على المربين تقع مسئولية توجيه هؤلاء المتعلمين وتعليمهم وتنمية مداركهم وفكرهم ، من خلال تشجيعهم وتحفيزهم نحو طلب العلم والمعرفة وكثرة البحث والإطلاع بشكل مستمر حيث: " يأخذ العلم من كل وعاء ، ولا يهمه حامل الوعاء ، بل لا يهمه نفس الوعاء ، فأخذ ما فيه من خير ، ولو كان فيه بعض الدنس ، ما دام الدنس لا يمنع من استساغة العلم نقيا سليما، والانتقاء بهذا الشكل لا يستطيعه إلاأقوياء العقول ، الذين علا أفق تفكيرهم ولم تستهوهم فكرة معينة ، تمنعهم من تعرف الخير في غيرها ".(٢)

فينبغي على المعلمين تربية هؤلاء المتعلمين تربية عقلية تعمل على علو تفكيرهم واتساع مداركهم وقدرة على ممارسة أساليب الحوار والمناقشة والمناظرة ، لذلك يجب على المعلمين تربية هؤلاء المتعلمين على الاستدلال لما في ذلك من الفوائد التي تعود على هؤلاء المتعلمين ، وقد قرر الإمام هذه الفائدة بقوله : " إن الاستدلال يربي في طالب القانون روح التمحيص ومناقشة الآراء ، ويشحذ ذهنه ، ويرهف مداركه ، ويعوده تلمس الحق في متنازع

(١)محمد أبو زهرة : أبو حنيفة حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٢٩٨ .
(٢) **المرجع السابق** : ص ٨٤ .

الآراء ومضطرب الأفكار ".(١)

فالعقل هو من أهم الطاقات الإنسانية التي ينبغي على المربين تنميتها من خلال كافة الأساليب والوسائل ، ومن أبرز هذه الطرق تربية المتعلمين على القدرة على الاستدلال والحوار بما يساعد في تنمية معارفهم ومعلوماتهم وبما يسهم في تربيتهم على الصبر وقوة الاحتمال في طلب العلم والمعرفة .

ونظرا لأهمية العقل بالنسبة للإنسان بصفة خاصة ، وبالنسبة للمجتمع بصفة عامة فهو طريق الحفاظ على البناء الاجتماعي من خلال تدعيم وتقوية العلاقات القائمة بين أفراده على أساس من المودة والرحمة والتعاون بهدف إيجاد مجتمع فاضل ، لذلك فإن المحافظة على العقل هي أحد المصالح التي أوجب الشارع ضرورة الحفاظ عليها ، وقد ذكر ذلك الإمام بقوله : " المحافظة على العقل هي حفظه من أن تناله آفة تجعل صاحبه عبئا على المجتمع ، ومصدر شر وأذى للناس ، لأن من يصاب عقله بآفة من الآفات يكون شرا على المجتمع يناله بالأذى والاعتداء ، فكان من حق الشارع أن يحافظ على العقل ، فإن ذلك وقاية من الشرور والآثام ، والشرائع تعمل على الوقاية، كما تعمل على العلاج ".(٢)

لذلك ينبغي على المعلمين تزويد المتعلمين بما يسهم في المحافظة على العقل وتعريفهم بمصادر الخطر التي يمكن أن تضر العقل وتمنعه من آداء مهامه ، كذلك ينبغي على المعلمين العمل على تنمية عقول المتعلمين ومداركهم بشكل مستمر من خلال البحث والاطلاع والمناظرة والحوار والمناقشة ، وكذلك الكشف عن أصحاب المواهب والقدرات والعمل على رعايتهم وتنمية مواهبهم، بما يسهم في تحقيق وتدعيم البناء الاجتماعي .

---

(١) محمد أبو زهرة : الملكية ونظرية العقد ، **مرجع سابق** ، ص ٣ .
(٢) _____ : أصول الفقه ، **مرجع سابق** ، ص ٣٣١ .

٥- التربية الاجتماعية :

اهتم الإسلام بالتربية الاجتماعية اهتماما بالغا ، نظرا لأن الدين الإسلامي دين اجتماعي يقوم على أساس التعاون والتكافل بين كافة أفراد المجتمع بهدف تحقيق نمو اجتماعي ، لذلك كان من الضروري تربية كافة أفراد الأمة تربية اجتماعية سليمة منذ ولادتهم ، وقد عرف الإمام (التربية الاجتماعية) بأنها : " التي تودع النفس الإنسانية محبة الجماعة ، وحسن التبادل العادل بينها ، ويبدأ ذلك بالأسرة لأن العناية بالأسرة عناية بالجماعة ، وإن الوطن لا تتربى محبته إلا في بناء الأسرة والنزوع الجماعي ، وقد أراد بعض الفلاسفة – وسارت وراءهم بعض النظم – أن يمحوا الأسرة ، ويربي الأطفال مع غير آبائهم ليكونوا جميعا منتمين للجماعة ، فنمت أجسامهم ولكن من غير عواطف إنسانية ".(١)

فمسئولية التربية الاجتماعية تبدأ من الأسرة التي هي خلية التكوين الأولى ، لذلك فقد حرص القرآن الكريم على بيان أحكامها وأتمت السنة تفصيل هذه الأحكام : " ولعل عناية القرآن بالأسرة وبيان أحكامها بالتفصيل لمقام إصلاحها للمجتمع إذا صلحت ولكيلا ينكر أحد شرعها كما يفعل بعض الذين يحاربون أحكام القرآن في الطلاق والزواج والمواريث ، فقد اشتمل القرآن الكريم على نصوص كثيرة تعد الخارج على أحكام الأسرة خارجا عن أحكام الله ، خالعا للربقة الإسلامية ".(٢)

لذلك كانت العناية بالأسرة وتفصيل أحكامها فهي كما ذكر الإمام : " الخلية الأولى التي يتربى فيها النوع الاجتماعي بكل ضروبه ، وكل شعبه ،وأنه لا يوجد مجتمع صالح إلا بأسر صالحة ، وفساد الأسرة فيه فساد المجتمع ".(٣)

---

(١) محمد أبوزهرة : زهرة التفاسير ، جـ ١ ، **مرجع سابق** ، ص ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .
(٢) _____ : أصول الفقه ، **مرجع سابق** ، ص ٩٣ .
(٣) _____ : زهرة التفاسير ، جـ٤ ، **مرجع سابق** ، ص ١٩٩٦ .

وفي ضوء تلك الأسر القوية المتماسكة يتكون المجتمع الصغير الذي يعيش فيه الفرد ويتفاعل من خلاله مع الآخرين ، وكذلك المدرسة التي يتربى فيها الفرد ويرتبط فيها بعلاقات مع زملائه والمحيطين به ، لذلك ينبغي على المعلمين تربية هؤلاء تربية اجتماعية تقوم على أساس التعاون والتكافل بينهم من خلال توزيع المهام والأعمال بما يسهم في تنمية روح الاجتماع فيهم ، ويساعد على بث روح التعاون بينهم ، وقد أكد على ذلك الإمام بقوله " إن التكافل الاجتماعي يوجب على القوامين توزيع الأعمال بمقدار المواهب والقوى وتعرف قوة كل ذي قوة ، ومواهب ذي المواهب ، ليعمل الجميع في اتساق ، ويقوم المجتمع على ميزان ثابت يبين به عمل العاملين ، من غير إهمال لقوة عاملة ، ولا إغفال لقدرة خاملة".(١)

وبذلك يتحقق نوع من التكافل الاجتماعي بين كافة أفراد المجتمع ، وبما يسهم في تقوية وتدعيم العلاقات القائمة بين كافة أفراده ، وبما يحقق أهداف الفرد والمجتمع التي تساعد في نهضة ورقي المجتمع الإنساني .

وتقوم التربية الاجتماعية على توجيه الإنسان ليكون مؤتلفا مع الجماعة مرتبطا بها ، ويعتمد هذا على تربية الضمير الإنساني على الائتلاف والاجتماع،وقد أوضح ذلك الإمام بقوله:" لابد من تربية للنفوس وتربية للمجتمعات ، ليتكون من ذلك الاجتماع الإنساني مجتمع متآلف متحاب غير متنافر ولا متباغض ، وإن التربية الروحية تقوم على تربية الضمير ، ليكون صاحبه مؤتلفا مع الجماعة ، ملتقيا معها ، يؤثرها على نفسه ولو كانت به خصاصة،ويحب الناس لله ".(٢)

(١)محمد أبوزهرة: التكافل الاجتماعي في الإسلام ، **مرجع سابق** ، ص ٥ .
(٢)ـــــــــــــ: المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ، **مرجع سابق** ، ص ٤١ .

ومن أهم وأبرز الوسائل وأكثرها تأثيراً في تربية الضمير الإنساني (العبادات) كما ذكر الإمام : " العبادات في ظاهرها علاقة العبد بربه ، ولكن في معناها : تربية الضمير الاجتماعي الذي يجعل الآحاد مندمجين في الجماعات التي يعيشون فيها بقوة روحية تحكم ميولهم وإرادتهم وتوجه عقولهم ، فالعبادات شرعت في الإسلام لتهذيب النفوس ، وتربية روح المساواة والاجتماع الذي لا اعتداء فيه ، وإذا كانت العبادات لا تحقق تلك الأهداف التهذيبية ، فهي ليست عبادة خالصة يقبلها الله تعالى ويثيب عليها ".(١)

فمن ينظر إلى هذه العبادات يعتبر أنها مجرد صلة العبد بربه من خلال الالتزام بها في ضوء ما أمر الله به ، ولكن هذه العبادات في حقيقتها التزام بما أمر الله به ، فضلا عن تهذيب وتنمية وتربية النفس الإنسانية ، وقد أوضح ذلك الإمام بقوله : " إن أدى المسلم العبادات على وجهها يشعر بالوحدة ، فإنه في الصلوات الخمس يتجه إلى الكعبة المشرفة قبلة المسلمين أجمعين، فإذا كان وهو يصلي يشعر أنه واحد من ألوف الملايين الذين يتجهون إلى هذه القبلة ، فيشعر بأن قلبه مرتبط بالله رب العالمين رب الخلق أجمعين ومرتبط بالمسلمين في بقاع الأرض بهذه القبلة التي توحد قلوبهم ومشاعرهم ، وفي الحج تلتقي جماعات من كل إقليم إسلامي في بيت الله الحرام، في ضيافة الله سبحانه وتعالى ويتعارفون فيعرف كل إقليم آلام الآخرين وآمالهم ، ويتصل بإحساسهم ومشاعرهم ويعرف ما يحتاج إليه كل إقليم ، وما يفيض من خيراته، ليمد به الآخرين ".(٢)

هذه العبادات وغيرها تتجه إلى تهذيب النفس الإنسانية وتربيتها على الائتلاف مع الآخرين، فيكون الإنسان عضوا نافعا في مجتمعه بما يعود بالفائدة على الفرد نفسه

(١)محمد أبوزهرة: في المجتمع الإنساني ، **مرجع سابق** ، ص ١٣ .
(٢) ـــــــــــ : الوحدة الإسلامية ، **مرجع سابق** ، ص ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

وعلى الجماعة التي يرتبط بها ، وعلى المجتمع الذي يعيش فيه ، لذلك يقول الإمام : " ولهذه المعاني في العبادات ، وعموم تطبيقها على المؤمنين ، كان لابد من تربية عملية عليها وقدوة حسنة في تنفيذها ، وأسوة من الرسول ﷺ في القيام بها ، وأن تتوارث تلك الأسوة الأجيال".(١)

لذلك ينبغي على المربين العناية بتلك العبادات وإبراز أهميتها ، وشرح وتوضيح الحكمة من مشروعيتها ، وبيان أهميتها وفائدتها بالنسبة للفرد والمجتمع ، وتعويد التلاميذ على ضرورة الالتزام بها ، من خلال التدريب والمران عليها والقدوة الحسنة ، بما يسهم في تربية وتنشئة هؤلاء الأفراد تنشئة اجتماعية سليمة على أساس من المحبة والتعاون والائتلاف .

مراحل التربية :

تمر تربية الناشئة عند الإمام بمراحل ثلاثة هذه المراحل كما حددها الإمام هي " المرحلة الأولى كشف للمواهب وتثقيف إنساني عام لا يستغني عنه مسلم ، بل لا يستغني عنه إنسان ، وفي المرحلة الثانية يكون التوجيه ، كل لما هيئ له ويسر ، وما تمده به قواه، وفي المرحلة الأخيرة وهي مرحلة التعمق والتخصص "(٢) ، وسوف نتناول كل مرحلة من هذه المراحل من خلال ما ذكره الإمام عن كل مرحلة وأهدافها ومتطلباتها وهي كالآتي:

المرحلة الأولى " مرحلة الكشف " :

يتحدث الإمام عن هذه المرحلة فيقول : " في المرحلة الأولى يتربى الجميع تربية واحدة ، أساسها تهذيب الروح ، وتقوية اللسان ، وإيقاظ الحافظة ، والحث على التفكير

(١) محمد أبوزهرة : المعجزة الكبرى القرآن ، **مرجع سابق** ، ص ٣١٢ .
(٢) _____ : تنظيم الإسلام للمجتمع ، **مرجع سابق** ، ص ١٧٥ .

obeikandi.com

والتأمل ، وبعث كل ما طوى في عقل الطفل وقلبه من ينابيع صالحة ونزوع مختلف ".(١)

فهذه المرحلة تكون عامة لكل أبناء المجتمع ، لا تقتصر على مجموعة دون أخرى بل إن جميع الأطفال دون تفريق بينهم يتم تربيتهم في هذه المرحلة تربية واحدة ، والتربية في هذه المرحلة تتجه إلى تحقيق مجموعة من الأهداف ، فهي تهدف إلى تنمية وتهذيب الروح وترقيتها ، والعمل على تقويم اللسان وتنمية القدرة على الحوار والمناقشة والطلاقة في الحديث ، والاهتمام بتنمية القدرات العقلية للمتعلمين من إدراك وتفكير وتأمل وملاحظة .

فالتربية في هذه المرحلة تتجه إلى التربية الروحية ، ولكي تتحقق هذه التربية الروحية فقد أكد الإمام على : " إنه في سبيل تربية الروح والوجدان ، كان لابد من الدين والعناية به ، وتلقين الطفل له ، وطبع مشاعره به ".(٢)

فهذه المرحلة هي بداية ربط المتعلمين بالدين ، وتنشئتهم على معرفة أحكامه وتوضيح وبيان أهمية الدين بالنسبة للإنسان ، حتى ينشأ التلاميذ مرتبطين بدينهم ملتزمين بقواعده وأحكامه ، مدركين لمدى حاجة الإنسان إلى الدين ، فهو كما قرر الإمام : " الدين لابد منه للإنسان الذي تسمو معانيه الإنسانية عن دركة الحيوان ، لأن التدين خاصة من خواص الإنسان ، ولابد أن يسلم له دينه من كل اعتداء "(٣) ، فمتى أدرك المتعلم مدى أهمية الدين والحاجة إليه ، كان حريصا على الالتزام بكل أوامر الدين واجتناب نواهيه عن طريق ما شرعه الله من عبادات وتكليفات وأحكام شرعية، فهذه العبادات هي الأساس الذي يقوم عليه هذا الدين ، وقد أوضح ذلك الإمام بقوله: " العبادات هي لب الدين ، وهي قوام اليقين ، وهي ذكر الله الذي تطمئن به القلوب ، وهي التي تربي الضمير وتنيره وتقيمه

(١) **المرجع السابق** : ص ١٧٢ .
(٢) محمد أبو زهرة : تنظيم الإسلام للمجتمع ، **مرجع سابق** ، ص ١٧٢ .
(٣) _____ : أصول الفقه ، **مرجع سابق** ، ص ٣٣٠ .

وهي التي تربي الضمير الجماعي، والوجدان الإنساني وروح التعاون بين الناس بعضهم مع بعض، ولهذه المعاني في العبادات وعموم تطبيقها على كل المؤمنين ، كان لابد من تربية عملية عليها ، وقدوة حسنة في تنفيذها ، وأسوة من الرسول ﷺ في القيام بها ".(١)

ومما يساعد في تربية وتهذيب الوجدان في هذه المرحلة ما ذكره الإمام بقوله : " ينبغي أن يعلم فرائض الإسلام الدينية والخلقية ، ويحفظ أيضا طائفة كبيرة من السنة النبوية ، التي تتعلق بعلاقة الناس بعضهم مع بعض ، وبما يتحلى به المؤمن من خلق كريم".(٢)

فإن مثل هذه الأمور تسهم في تربية وتهذيب الوجدان بما تحتوي عليه من تعاليم وأخلاقيات وتوجيهات ، تنتظم في ضوئها علاقات الأفراد مع بعضهم البعض ، لذلك ينبغي على المعلمين في هذه المرحلة الاهتمام بتزويد المتعلمين بكل ما يحتاجون إليه من معارف ومعلومات تتصل بالعبادات والأحكام والتكليفات ، وبيان أهميتها والحكمة منها .

ولا تقتصر المرحلة الأولى على مجرد تهذيب وتنمية الجانب الوجداني بل إنها تتجه إلى تقويم وإصلاح اللسان من خلال العناية والاهتمام بإحياء اللغة العربية ، لأنها كما قرر الإمام : " اللغة العربية هي التي تجمع المسلمين في الحاضر كما جمعتهم في الماضي فلسنا والحمد لله ندعو للعربية تعصبا للعرب ، ولكن ندعو إليها تعصبا للإسلام ، ورغبة في الوحدة الإسلامية ، لأنها لغة القرآن أولاً ، ولغة السنة ثانياً ، ولغة العبادة الإسلامية ثالثاً كما هي لغة التراث الإسلامي كله ".(٣)

لذلك ينبغي على المعلمين في هذه المرحلة أن يتجهوا إلى تعويد المتعلمين على

---

(١)محمد أبوزهرة : المعجزة الكبرى القرآن ، **مرجع سابق** ، ص ٣١٢ .
(٢) _____ : تنظيم الإسلام للمجتمع ، **مرجع سابق** ، ص ص ١٧٣ ، ١٧٤ .
(٣)_____ : الوحدة الإسلامية ، **مرجع سابق** ، ص ٢٧٥ .

استخدام اللغة العربية ، والعمل على إصلاح وتقويم ألسنتهم ، وقد استند الإمام في تأكيده على ضرورة الاهتمام بتقويم اللسان في هذه المرحلة بحيث تكون لغة الفرد سليمة تتسم بالقوة والطلاقة ما اتبعه المسلمون الأولون في ذلك بقوله : " سلك المسلمون الأولون في سبيل ذلك مسلكين هما : إرسال أولادهم إلى البادية ليتفصحوا فيها ، ويعودوا النطق العربي الصحيح ، ثم تحفيظ القرآن الكريم ، وإن ذلك كان سائدا في كل الأمصار الإسلامية فالطفل المسلم لابد أن يحفظ حظا من القرآن الكريم ، وكثيرون يحفظونه كله ".(١)

فحفظ القرآن في هذه المرحلة يساعد على تقويم اللسان وإصلاح عيوبه ، هذا بجانب مجموعة أخرى من الفوائد ذكرها الإمام بقوله : " من يتجاوز المرحلة الأولى تتقاصر همته عن حفظ القرآن ، فلا يحفظه ولا يفهمه ، ولأننا لاحظنا أن الذين يحفظون القرآن في مراحلهم الأولى تقوَّم ألسنتهم ، لأن الإجبار على الحفظ فوق أنه يقوى الحافظة ويرهفها ، هو أيضا يقوي الإرادة ويشحذها إذ أن الإرادة في الطفل تقوى بتعوده قهر رغباته وأهوائه، واستهدافه إرضاء مربيه بإرادة قوية مختارة ، لذلك لا نجد في الناشئة التي تربي بالترغيب فقط إرادة قوية حازمة عندما تصطدم رغباتهم بموجب العقل وقوانين الاجتماع ، أما الذين يتربون رغبا ورهبا فإنهم يكونون ذوي إرادة ضابطة تحول بينهم وبين التردي في موبقات الهوى ".(٢)

فاستخدام أسلوب الترغيب والترهيب في هذه المرحلة مع الناشئة وبث روح المنافسة وشحذ الهمم من خلال التدرج معهم في الواجبات ، وتعويدهم القيام والالتزام بما يكلفونهم به ، من شأن ذلك أن يربي فيهم إرادة قوية ، وقدرة على تحمل المسئولية والاعتماد

(١)محمد أبوزهرة : تنظيم الإسلام للمجتمع ، **مرجع سابق** ، ص ١٧٣ .
(٢) **المرجع السابق** : ص ١٧٣ .

على النفس ومواجهة كافة المواقف .

كذلك ينبغي أن تهتم هذه المرحلة بتربية الناحية البدنية لهؤلاء المتعلمين ، من خلال الاهتمام بالتربية الجسمية والصحية لهم ، وتعويدهم التزام العادات الصحية السليمة بما يسهم في تحقيق نموهم البدني بشكل طبيعي،وهذا ما أكده الإمام بقوله : " ومع هذه التربية المعنوية يربي على الرماية والسباحة واستعمال السلاح ، وبعبارة عامة يربي على ما يقوي جسمه وخلقه وعقله ودينه ".(١)

فالتربية في هذه المرحلة عامة ، تتجه إلى تربية كافة جوانب النمو سواء الجسمية أم العقلية أم الخلقية أم الاجتماعية بما يسهم في تحقيق كافة أهداف التربية في هذه المرحلة ، " وبذلك يجتمع في الغلام منذ نعومة أظافره دين قوي ، وعقل قوي ، وإرادة قوية وجسم قوي ، وتكون بها كل المعاني الإنسانية فيه قوية متناسقة غير متنافرة ".(٢)

المرحلة الثانية " مرحلة التوجيه " :

بعد أن يتربى الجميع تربية واحدة في المرحلة الأولى تتجه إلى الناحية الروحية والناحية العقلية، والناحية اللسانية ، والناحية البدنية ، وتنكشف فيها كافة المواهب والقدرات والميول والمهارات ، تأتي المرحلة الثانية وهي مرحلة (التوجيه) ، وتقوم هذه المرحلة على توزيع المهام والاختصاصات والأعمال ، كل حسب قدراته وميوله ومواهبه فهي مرحلة توجيه للإنسان في اختيار ما يتلاءم واستعداداته ، فيقول الإمام عن هذه المرحلة : " يجب أن تتنوع بحسب ما بدا من ذكاء وميول ، فمن بدت ميوله نحو الثقافة والتعلم الذي يسير بها نحو التخصص والتعمق سار فيه، ومن بدت ميوله نحو الصناعة الفنية الدقيقة سار فيها،ومن وقف به ذكاؤه وميله عند حد المرحلة الأولى وقف عند ذلك وكان عاملا يدويا ،

(١) **المرجع السابق** : ص ١٧٤ .
(٢) **المرجع السابق** : ص ١٧٤ .

والمجتمع محتاج إلى هذا النوع ".(١)

فهذه المرحلة من مراحل حياة الإنسان هي التي يتم فيها توجيه الإنسان إلى ما يتناسب معه من الأعمال ، فيتحدد من خلالها ما يمكن أن يمتهنه الإنسان مستقبلا ، لذلك فإن الطفل في هذه المرحلة في حاجة إلى من يوجهه ويرشده إلى نوعية الدراسة التي تلائمه والتي تتناسب مع قدراته وميوله ، فمن كانت ميوله ومواهبه تؤهله للاستمرار ومواصلة التعلم سار إلى المرحلة الثالثة وهي (مرحلة التعمق) وسيأتي بيانها ، ومن توقفت به مواهبه وميوله عند هذا الحد ، فقد توقفت به عند فرض كفائي، بحيث يكون منهم الفنيين ومساعدي المهندسين والمجتمع في حاجة إلى هؤلاء الأفراد ، فجميع الأعمال كلها فروض كفاية ، ومن كانت لديه القدرة على القيام بنوع منها كان مطالب به على وجه الخصوص ، وهذا ما قرره الإمام بقوله : " فروض الكفاية جملة مطلوبة من الجميع ، ولكنها موزعة على الطوائف والآحاد ، فالتفقه في الدين فرض كفاية ، وعلم الهندسة فرض كفاية والزراعة فرض كفاية ، وكذلك الجهاد والطب ، وكل صناعة أو عمل لا تستغني عنه الجماعة ، ويقوم به نظامها الاجتماعي والاقتصادي ، يخاطب به الكافة ، ويطالب به على الخصوص من الخاصة من عنده القدرة عليه ".(٢)

ومن جملة الأعمال التي هي من فروض الكفاية الأعمال الفنية التي أكد الإمام على أهميتها بالنسبة للمجتمع الإنساني حيث قال : " والأعمال الفنية كلها فروض كفاية فيجب على الأمة أن توفر هذا الصنف من العاملين ، وإن لم يكونوا فإن الجماعة كلها تأثم ويكون الوزر على المجتمع ".(٣)

---

(١) **المرجع السابق** : ص ١٧٤ .
(٢) محمد أبو زهرة : أصول الفقه ، **مرجع سابق** ، ص ٣٨ .
(٣) _____ : التكافل الاجتماعي في الإسلام ، **مرجع سابق** ، ص ٤٧ .

فالعمل الفني فرض كفائي إذا قام به البعض بأن توافر عدد من الفنيين والمعاونين سقط عن الباقين، وكذلك بقية الأعمال الأخرى سواء أكانت مهارية أم فنية أم يدوية ، لأن قيام المجتمع وتكامله مبني على توافر ووجود هذه الأعمال ، لأن الدين الإسلامي يدعو إلى التخصص في العمل ، وتوزيع المهام والأعمال ، وقد أكد الإمام على ضرورة التخصص في مجال من مجالات الحياة بقوله : " التخصص في دراسة ناحية من نواحي الحياة في الأمة ليعمل على دراسة طرق إصلاحها ، فإن طرق العلاج متشعبة ، ونواحيه متباينة ، ولكل ناحية أقوام يجيدون معالجة الإصلاح فيها ، والدراسة التامة بوسائله وطرقه ، فالماهر في الزراعة يوجه جل عنايته إلى وسائل ترقيتها ، وطرائق زيادة الغلات ، والطبيب يوجه أكبر عنايته إلى دراسة الأحوال الصحية والوقاية من الأمراض ، والقانوني يتجه إلى الإصلاح القانوني ، والاقتصادي يعني بدراسة النظم الاقتصادية في الأمم والحكومات ، وهكذا كل يعمل فيما هيئ له ، وبذلك تتضافر كل القوى ، وتتلاقى كل عناصر الإصلاح ، ويتم بنيانه الكامل ".(١)

فالمجتمع قائم على التخصص والتنوع ، كل إنسان له ميوله ومهاراته وقدراته التي تمكنه من القيام بما يتناسب معه من الأعمال، والمجتمع في حاجة إلى كل نوع من هذه الأعمال، لذلك ينبغي على المربين وأولياء الأمور أن يهتموا في هذه المرحلة بتوجيه أطفالهم بما يتلاءم معهم ، " فإذا لم يؤت الله إمرأ مواهب تنزع إلى العلم ، وطلب الحقيقة في ناحية من النواحي ، فأولى به ثم أولى به أن يتجه أو يوجهه ذووه إلى أبواب الفكر ، الذي يتجه به إلى الصناعات والأعمال الحسية ، بدل أن يتجه إلى الأعمال العقلية ، ولكل فضل ، ولكل

(١)محمد أبوزهرة :الخطابة أصولها تاريخها فى أزهر عصورها عند العرب ، **مرجع سابق** ، ص ١٢٨.

ثمرة "[1] ، حتى يمكن الاستفادة من كافة أفراد هذا المجتمع كل فيما خلق له ويسر وبذلك يكتمل البناء الاجتماعي .

المرحلة الأخيرة " مرحلة التعمق " :

هذه هي المرحلة الأخيرة من مراحل التربية الإسلامية كما قررها الإمام ، حيث يسمى هذه المرحلة بـ (مرحلة التعمق) ، ولا يصل إلى هذه المرحلة كل الأفراد الذين تجاوزوا المرحلة الأولى والثانية من مراحل التربية الإسلامية ، بل يصل إليها مجموعة من الأفراد لديهم من القدرات والإمكانات والميول والاستعدادات ما يؤهلهم للتخصص والتعمق في دراسة علم من العلوم ، وبالتالي التوجه إلى مهنة من المهن .

يتحدث الإمام عن هذه المرحلة فيقول : " تكون هذه المرحلة لمن بزغت شمس ذكائهم، وبدا نورها مبشرا بأن هذا سيكون منه فائدة محققة للمجتمع إذا اتجه إلى التعمق والتخصص في علم من العلوم التي لا تستغني عنها الأمة ، فهذا يتجه إلى الطب ، وذاك إلى علم اللغة ودقائقها، وذاك إلى علم الشريعة وفقهها ، وآخر إلى علم القيادة ورسم الخطط فيها".[2]

فالإمام يؤكد على ضرورة تضافر كافة الجهود للكشف عن هؤلاء الذين تؤهلهم مواهبهم وميولهم للسير في هذه المرحلة من التعمق والتخصص والنبوغ ، بحيث يتم في هذه المرحلة توزيع الأفراد لدراسة مختلف العلوم والفنون ، بحيث يتخصص كل فرد في دراسة علم من هذه العلوم ، حتى يتم إعداده للالتزام بما تخصص فيه من الأعمال ، فإن المجتمع في حاجة إلى كل الأنواع ، وقد قرر ذلك الإمام بقوله : " إن التخصص والتعمق في مطلب من هذه المطالب السامية فرض كفاية في الأمة ، فيجب أن يكون في الأمة مهندسون وأطباء

(١) محمد أبوزهرة : ابن حزم حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٦٦ .
(٢) _____ : تنظيم الإسلام للمجتمع ، **مرجع سابق** ، ص ٤٧ .

ورؤساء وقادة جيش وغير ذلك ، ولكل نوع من هذه ناس يميلون إليها ولهم قدرة عليها وواجب الأمة أن تسهل ظهور مواهب هؤلاء أولا، وتوجيههم إلى ما يوافق ميولهم ثانيا،وتسهيل سبل التعمق لمن هم أهله ثالثا ".(١)

وهذه المرحلة من مراحل التربية الإسلامية عند الإمام لا تقف عند حد معين ودرجة واحدة، وإنما هي كما قرر الإمام : " مرحلة النبوغ وهي درجات متفاوتة ، يميزها العمل والإنتاج والانصراف العلمي ، ومنها يكون المهندسون والأطباء والقضاة والفقهاء وغيرهم من الذين يتولون الأعمال الرئيسية في المجتمع ، وفي أعلى هذا الصنف من المتازين المخترعون والمشرعون ومؤسسو الدول على أساس العدالة والحق ، ومنظمو العلاقات الإنسانية بين الناس على أساس العدل ومراعاة حقوق الإنسان ".(٢)

فهذه المرحلة كما ذكر الإمام درجات متفاوتة ، فمنها يكون الأفراد شاغلي الأعمال الرئيسية من طب وهندسة وتعليم وغيرها من المهن التي يحتاج إليها كل أفراد المجتمع ، وهؤلاء يمثلون الأغلبية الكبرى في هذه المرحلة ، لأن المجتمع في حاجة إلى أعداد كبيرة من هؤلاء ، كما أن معظم الأفراد في هذه المرحلة يتوقفون عند هذا الحد ، ولا تؤهلهم قدراتهم وظروفهم إلى أعلى من هذا المستوى ، ويأتي في قمة هذه المرحلة مجموعة من الأفراد ، تتوافر لديهم قدرات خاصة، تمكنهم من التأثير في رقي وتقدم البشرية ، من خلال ما يقدمونه من اختراعات ، كما يوجد في قمة هذه المرحلة مجموعة من الأفراد يسهمون في صنع القرارات ، ووضع التشريعات، وتنظيم القوانين والعلاقات الإنسانية على أساس من العدل والمساواة ، وقد ذكر الإمام أهمية وقيمة هذه المجموعة من الأفراد بقوله : " وإن الذين يكونون في أعلى

(١) **المرجع السابق** : ص ١٧٥ .
(٢) محمد أبو زهرة : التكافل الاجتماعي في الإسلام ، **مرجع سابق** ، ص ٥١ .

القمة هم الذين تعيش الإنسانية على اختراعاتهم وكشفهم لنواميس الكون ، وإنهم في كل أمة عدد قليل ، وبمقدار قوة تفكيرهم يكون تقدم الأمة ، فلا يقاس تقدمها بعددهم ، وإنما يقاس بطاقاتهم ".(١)

لذلك ينبغي على المربين وأولياء الأمور والقائمين على أمر التربية والتعليم ، مراعاة هذه الفئة من المتعلمين ، وتوفير كافة الاحتياجات اللازمة لهم بما يسهم في تفوقهم ونبوغهم العلمي ، بما يعود بالفائدة على المجتمع الإنساني وبما يسهم في رقي وتقدم البشرية .

وتوجيه الأفراد في هذه المرحلة نحو التخصص والتعمق في علم من العلوم لا يكون بطريق الجبر والإكراه ، ولكنه في المقام الأول أمر اختياري يراعي فيه ميول الشخص واتجاهاته، وقد قرر ذلك الإمام بقوله : " إن التوزيع بهذه القوى يكون بالميول أولا ، والقدرة على ما اتجه إليه ثانيا ، فهو نوع من الانتخاب الطبعي ، لا التوجيه القسري ، ولا يكلف أحد نفسه ضد طباعه ، وضد قدرته ".(٢)

فالشخص يكون له حرية اختيار نوعية التعليم الذي يتفق مع ميوله ،ويتناسب مع قدراته، ويحقق أهدافه وطموحاته " إن ذلك هو الانتخاب الطبعي، وتتحقق فيه العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص، وتتوزع القوى في المجتمع ، وتعمل كل القوى في الدائرة التي يحتاج إليها فيها ، وإن هذا الانتخاب الفطري لا يجعل المرء يطلب ما لا يحسن ، ولا يتجه إلى الدراسات العالية التي تخرج علماء إلا من هو لذلك أهل ، والأمة تنتفع به إذا أنفقت على تعليمه ".(٣)

فهذه المرحلة من مراحل التربية الإسلامية عند الإمام تعتمد على ميول الشخص

(١) **المرجع السابق** : ص ٥٠ .
(٢) محمد أبو زهرة : تنظيم الإسلام للمجتمع ، **مرجع سابق** ، ص ١٧٥ .
(٣) **المرجع السابق** : ص ١٧٨.

ومواهبه وقدراته في ضوء بعض التوجيهات من المحيطين به من المعلمين وأولياء الأمور بما يتناسب معه .

هذه هي مراحل التربية الإسلامية كما حددها وذكرها الإمام ، والتي سار فيها على المنهج الإسلامي من خلال ما رسمه وحدده علماء الإسلام ، وقد أكد على ضرورة اتباع هذه المراحل في تربيتنا في العصر الحاضر ، وبصفة خاصة في التعليم المصري الذي يعاني من الضعف والتدهور وكثرة المشكلات ، وقد تحدث عن ذلك الإمام بقوله : " إننا الآن في مصر نشكو من كثرة المقبلين على التعليم في المرحلة الأخيرة ، لأن الطرق الدراسية في المدارس في المراحل الأولى أكثرت من النجاح الصناعي ، الذي لا تختبر فيه القوي ، ولا تتميز فيه الفطر فيكثر الذين يتقدمون إلى المرحلة الأخيرة ، وفيهم من لا تقوى فطرتهم بذاتها من غير وسائل صناعية على التأهل للدراسة العالية ، ولذلك يكثر الرسوب ، ويكثر الذين يخرجون غير ناضجين وغير متعمقين ، وغير متخصصين ".(١)

حيث أن التعليم العالي في مصر يعاني من كثرة المقبلين عليه، والمتجهين إلى الالتحاق به، بالرغم من أن قدراتهم لا تؤهلهم للسير في هذه المرحلة ، ولو اتجهوا إلى مهن أخرى حسب استعداداتهم وإمكاناتهم لكان خيرا لهم ولصالح المجتمع ، مما يتيح الفرصة لمن تؤهلهم قدراتهم مواصلة تعليمهم في المراحل العليا ، بحيث توفر لهم الدولة كافة احتياجاتهم اللازمة حتى يتمكنوا من مواصلة البحث والدراسة والإطلاع بصفة مستمرة وبناء على هذا فإن الإمام يقرر أن هؤلاء الأفراد ، وهذه الفئة ، ينبغي أن تكفلها الدولة وتنفق عليها وعلى أهليهم حتى يتفرغوا لمواصلة تعليمهم ودراستهم ، حيث يقول الإمام : " إذا كان ذلك العالم ليس له موارد مالية أجرت عليه الدولة ما يكفيه وأهله بالمعروف ، وهو

(١) **المرجع السابق** : ص ١٧٨ .

يعمل حرا لا سلطان لأحد عليه ، إلا ضميره الديني ، وحق العلم عليه ".(١)

فإذا تكفلت الدولة بالإنفاق عليهم وعلى أهليهم فإن ذلك يجعل هؤلاء الأفراد يشعرون بالاستقرار والاطمئنان ، ولا ينشغلون بالحياة والعمل عن بحثهم وإطلاعهم ، مما ينعكس أثره على تركيزهم، ورغبتهم المستمرة في مواصلة البحث والدراسة ، والوصول إلى أطيب النتائج .

وإذا كان التعليم المصري يعاني العديد من المشكلات ، فإن السبيل إلى علاج هذه المشكلات كما ذكر الإمام هو الرجوع إلى المنهج الإسلامي ، والذي استنبطوه من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، ويعتمد هذا المنهج في تربية الأبناء على المراحل السابق ذكرها حسب أدوار السن ومتطلبات كل مرحلة ، وهذا ما قرره الإمام بقوله : " إن ذلك المنهاج الذي رسمه علماء المسلمين هو الذي يتفق مع كل العصور ، ومع عصرنا الحاضر ، ولعله يكون علاجا للتعليم في مصر ، وإنه في تدرجه يشبه الهرم ، فإن قاعدته تسع الأمة كلها ، فإذا علا ضاق على ذوي المواهب ، وكل علو فيه يتجه إلى ذوي نبوغ أشد ومواهب أغزر ، حتى إذا علا إلى قمته كان ضيقا لا يتسع إلا لذوي الكفايات الطبيعية العالية الذين يتعمقون ، ويستنبطون ويسيرون بالإنسانية إلى الأمام، وبمقدار قوة النبوغ والتعمق في هؤلاء يقاس تقدم الأمة فعظمة الأمم العلمية لا تقاس بعدد المعلمين ، وإنما تقاس بقوة النابغين ".(٢)

من خلال هذا يكون التعليم على مراحل ، الأولى منها عامة لكل الأبناء ، حيث يلتحق بها كافة أبناء المجتمع دون تفريق بين غني أو فقير ، وبين قوي أو ضعيف ، حتى يحصل الجميع على الحد الأدني من التعليم في إطار هذه المرحلة ، ومن يظهر نبوغه وتفوقه

(١) **المرجع السابق** : ص ١٧٧ .
(٢) **المرجع السابق** : ص ١٧٦ .

في هذه المرحلة ، يتجه إلى مراحل أخرى أعلى منها حتى يصل إلى المرحلة الأخيرة ، وهي قاصرة على ذوي المواهب والاستعدادات والقدرات الخاصة ، كل هذا لا يكون في إطار من الجبر والقسر ، ولكن هناك حرية في التعليم بحيث يختار المتعلم ما يتناسب مع ميوله واتجاهاته ، وبما يحقق أهدافه وطموحاته ، ومن اتجهت به مواهبه وقدراته إلى مواصلة البحث والدراسة فإن واجب الدولة الإنفاق عليه وأهله حتى لا ينشغل عن البحث والدراسة وبذلك تتحقق العدالة في التعليم وتكافؤ الفرص ، بحيث يمكن كل إنسان حسب ميوله ومواهبه واستعداداته من نوعية التعليم التي تتناسب مع ذلك ، وبذلك يتحقق نوع من التكامل بين أفراد المجتمع ، بحيث يكون كل واحد منهم ميسر ومهيأ لما خلق له .

مبادئ التربية :

هناك العديد من المبادئ التربوية الهامة ، والتي نادى بها الإسلام وحرص المسلمون منذ عهد الرسول ﷺ على تطبيقها والأخذ بها ، والمستمدة من كتاب الله عز وجل فيما اشتمل عليه من أوامر ونواهي ، ومن سنة النبي ﷺ فيما صدر عنه من قول أو فعل أو تقرير فكثير من مبادئ التربية الحديثة إذا بحثت وأمعنت النظر فيها وجدت لها أساسا في التربية الإسلامية ، فينبغي على رجال التربية في عصرنا الحاضر في الأمة الإسلامية ، العمل على إحياء التراث التربوي الإسلامي ، من خلال العودة إلى مصادرنا الأصلية من كتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ ، وما تركه السابقون من تراث يمكن الاسترشاد به والاستفادة منه في تربية أبنائنا .

وفيما يلي عرض لأهم مبادئ التربية الإسلامية ، والتي يمكن استخلاصها من خلال كتابات ومؤلفات الإمام (أبو زهرة) وهي فيما يلي :

١- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين :

استناداً إلى ما ذكره الإمام أبو زهرة حول الطبيعة البشرية ، حيث قرر أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان وميزه على سائر خلقه بأن أودع فيه قدرة واستعداداً يمكنه من المعرفة والعلم بالأسماء والأجناس ، كما وهب الإنسان مجموعة من الأدوات سواء العقل أو الحواس التى تمكنه من إدراك حقيقة الأشياء والأسماء ، وأوجب على الإنسان توظيف هذه الأدوات حتى تتحقق الحكمة من خلافة الله للإنسان على هذه الأرض ، كما يؤكد الإمام على اختلاف الناس وتفاوتهم فى هذه القدرات والاستعدادات حتى يحدث نوع من التكامل والتنسيق بين بنى الإنسان ، بحيث يؤدى كل واحد منهم عمل معين يتفق مع قدراته ومواهبه وميوله ، لذلك يؤكد الإمام على ضرورة مراعاة ما بين المتعلمين من فروق فردية فى القدرات والإمكانات والاستعدادات وتكليف كل إنسان في حدود قدرته وبما يتفق مع ميوله واتجاهاته ومواهبه.(١)

فمراعاة ما بين المتعلمين من فروق فردية فى القدرات والاستعدادات وفى إدراكهم العقلى من أبرز المبادئ التى تنادى بها التربية الحديثة ، ولقد كان للإسلام فضل السبق فى تطبيق هذا المبدأ أو الأخذ به ، فتكليف الإنسان من الله تعالى لم يكن إلا في حدود طاقته وقدرته ، فالناس متفاوتون في التكليفات الشرعية كل في حدود طاقته وقدرته ، وفي هذا مراعاة للفروق الفردية بين بني الإنسان ، فما يقوم به الإنسان من تكليفات ومهام قد لا يستطيع آخر القيام به ، لذلك لاحظ الشارع أن لمصلحة الإنسان ألا يكلف إلا بما هو في استطاعته وقد قرر ذلك الإمام بقوله : " لاحظ الإسلام أن لمصلحة الناس في دينهم ألا يكلفهم إلا بما يستطيعون ، وما يؤدونه باستمرار ، فالتكليفات الشرعية في جملتها ،ما

(١) انظر : الطبيعة الإنسانية عند الإمام أبوزهرة ، ص ٦٠.

يمكن احتمال المشقة فيه باستمرار، لأن المصلحة التي تتحقق بها لا تكون إلا باستمرار، وإذا كانت هناك تكليفات فوق المشقة المعتادة كالجهاد في سبيل الله فهي ليست على كل الناس وليست مما يطالبون بها باستمرار".(١)

ويستفاد من هذا الكلام توجيه تربوي هام ينبغي على المربين مراعاته مع المتعلمين حتى تؤتى العملية التعليمية ثمارها، وتحقق أهدافها، ويكون الجهد الذي يبذله المعلم في محله ويعود بالفائدة، حيث ينبغي على المعلمين مراعاة قدرات وإمكانات المتعلمين وتكليف كل متعلم بما هو في قدرته واستطاعته، والسير به في طريق التعلم بما يتناسب مع استعداداته ومهاراته وهذا يتطلب من المعلمين معرفة وإدراك ما بين هؤلاء المتعلمين من فروق في القدرات والإمكانات، حتى تتحقق الأهداف المرجوة من العملية التعليمية.

وقد قرر الإمام هذا الاختلاف في القدرات والمدارك بقوله: " بعض الناس قد أتاه الله عقلا راجحا، وبصيرة نافذة، وفكرا ثاقبا، يدرك الموضوع من كل نواحيه، ويلم بظواهره وخوافيه، وبعضهم فيه قصور نظر، فلا يستطيع إحاطة الموضوع بنظرة شاملة وفيه قصور فكر، فلا يدأب في البحث عن الحقيقة إلى النهاية، ولابد أن تختلف النتائج التي يحصل عليها من كان على هذه الشاكلة، عما يصل إليه من كان من الصنف الأول".(٢)

فسعة العقل، ونفاذ البصيرة، وعلو التفكير، والإحاطة التامة بكل جوانب الموضوع هبة من الله تعالى تختلف من شخص إلى آخر، لذلك ينبغي على المربين مراعاة ما بين المتعلمين من فروق في هذه الأمور، من خلال تحفيز وتشجيع من تكون لديهم هذه القدرات والعمل على تنميتها وتوجيههم إلى حسن استخدامها، وفي نفس الوقت شرح وتبسيط

(١) محمد أبوزهرة : أصول الفقه، **مرجع سابق**، ص ٣٣٩.
(٢) _____ : تاريخ الجدل، **مرجع سابق**، ص ص ٩،١٠.

المعارف والمعلومات حتى تصل إلى المتعلمين الذين لا تتوافر لديهم هذه القدرات وبذلك تتحقق الاستفادة للجميع.

ويدخل فى عموم الفروق الفردية التى ينبغى مراعاتها فيما بين الأفراد جانب هام ينبغى مراعاته والأخذ به ، وهو الاختلاف الفكرى بين الأفراد ، فكل فرد يختلف عن الآخر من حيث أفكاره في إدراك حقائق الأشياء ، وتفسيراته حول موضوع معين ، وعن بداية الاختلاف ونشأته بين بني الإنسان يقول الإمام : " إن ذلك النوع من الاختلاف قديم بقدم الإنسان في هذه الأرض ، ابتدأ معه حيث ابتدأ ينظر إلى الكون فيشده بعظمته وتأخذه الحيرة في إدراك كنهه وحقيقته ".(١)

فالاختلاف موجود مع الإنسان منذ بداية وجوده على هذه الأرض ، فهو ليس أمرا حديثا على الإنسان ، فالناس متفاوتون في إدراك الحقائق ، وهذا راجع إلى اختلافهم الفكري في تفسير هذه الحقائق وإدراكها ، وليس اختلاف المسلمين في استنباط الأحكام الفرعية من أصولها نوع من الخصومة والتعصب ، كما قرر ذلك الإمام بقوله : " إن الخصومة في الدين غير الاختلاف في فروعه التي لم ينص عليها ، إذ أن الاختلاف ينشأ من الانبعاث الفكري ،والخصومة تنبعث من التعصب ، فالاختلاف يكون فيه تعرف لوجهات النظر المختلفة ، أما الخصومة فهي النظرة الجانبية الحادة التي تعمي عن إدراك الجوانب الأخرى ".(٢)

فالاختلاف مبني على اتساع الأفق ، وعلو التفكير ، وسعي نحو الوصول إلى الحقيقة، أما الخصومة فهي بخلاف ذلك فهي ضيق في الأفق ،ونظرة قاصرة على جانب

(١) **المرجع السابق** : ص ٧ .
(٢) محمد أبو زهرة : **الميراث عند الجعفرية** ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، د.ت ، ص ١٢ .

واحد من جوانب الموضوع مع إهمال الجوانب الأخرى ، حيث يسعى صاحبها إلى إثبات صحة ما يدعو إليه وإقناع الآخرين به سواء عن طريق الحق أو الباطل ، وهذا من شأنه يؤدي إلى تعطيل كافة القدرات العقلية من إدراك الحقائق ، أما الاختلاف الفكري فمن شأنه : " أن يوسع الأفاق الفكرية ، ويوسع ميدان النظر ، وتتولد عنه مسائل لم تكن في تفكير أحد قبل إبداء أوجه النظر ، فالاختلاف المخلص ينمي العلم ، والخصومة تضيقه".(١)

فهذا الاختلاف الذي يسعى إلى إدراك الحقيقة لا يقصد غيرها يترتب عليه قضايا ومسائل لم تكن موجودة من قبل تتولد من خلال المناقشة والحوار واختلاف وجهات النظر وينبغي على المعلمين تنمية هذا الجانب لدى المتعلمين في إدراك الحقائق بما يسهم في تنمية مختلف فروع العلم والمعرفة .

فاختلاف الناس في تفكيرهم من الحقائق الثابتة ، وقد ذكر الإمام أن هذا الاختلاف يرجع إلى مجموعة من الأسباب وإن كانت كثيرة ومتعددة لا يمكن حصرها فقد ذكر بعضاً من أسباب الاختلاف من أهمها :

(١) **غموض الموضوع في ذاته**: " لقد تصدى الفلاسفة من قديم الزمان لدراسة موضوعات غامضة في ذاتها ، وليست الطرق لفهمها وإدراكها معبدة ، فكل يرى ما تقع عليه بصيرته، وما تهديه إليه هويته وربما كان الحق مجموع أقوالهم ".(٢)

(٢) **غموض موضع النزاع** : أي موضع الاختلاف فكل واحد منهم له وجهة نظر غير الآخر بني عليها رأيه في ذلك ، وقد أكد ذلك الإمام بقوله : " وكثيراً ما يكون الاختلاف لا

(١) **المرجع سابق** : ص ١٢ .
(٢) محمد أبو زهرة : تاريخ الجدل ، **مرجع سابق** ، ص ٧ .

لغموض الموضوع في ذاته ، بل يكون لأن كلا المختلفين لم يعرف وجهة نظر الآخر ، واختلف نظرهما في الموضوع الواحد ".(١)

(٣) **اختلاف الرغبات والشهوات** : " ومن أسباب الاختلاف بين الناس اختلاف الرغبات والشهوات، فإن رغبات الناس وأهواءهم وأمزجتهم متباينة ، وكل يدرك في محيط نزعاته النفسية ".(٢)

(٤) **اختلاف الاتجاه**: فاتجاهات كل إنسان تختلف عن الآخرين : " فاتجاه الناس في الحياة يجعل لكل متجه إلى نوع تفكيراً يناسب اتجاهه ، وتكون آراؤه سائرة في هذا الاتجاه ".(٣)

(٥) **اختلاف المدارك : يقول الإمام** : " بعض الناس قد أتاه الله عقلاً راجحاً ، وبصيرة نافذة، وفكراً ثاقباً يدرك الموضوع من كل نواحيه ، ويلم بظواهره وخوافيه ، وبعضهم فيه قصور نظر فلا يستطيع إحاطة الموضوع بنظرة شاملة ، وفيه قصور فكر ، فلا يدأب في البحث عن الحقيقة إلى النهاية "(٤) ، فبعض الناس لديه قدرة على الإحاطة بكل جوانب الموضوع ، ومن ثم يسهل عليه إدراك الحقيقة .

(٦) **تقليد السابقين** : عن طريق الاعتماد على ما كتبه الأقدمون ، من غير نظر وإعمال للعقل وإبداء للرأي ، ويقرر ذلك الإمام بقوله : " من أسباب الخلاف تقليد السابقين ومحاكاتهم من غير أن ينظر المقلدون نظرة عقلية مجردة ".(٥)

(٧) **سيطرة الأوهام** : وقد يكون سبب الاختلاف هو سيطرة الأوهام كما قرر الإمام: "

---

(١) محمد أبوزهرة : **تاريخ المذاهب الإسلامية** ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، د.ت ، ص ٨ .
(٢) **المرجع السابق** : ص ٨ .
(٣) **المرجع السابق** : ص ٨ .
(٤) محمد أبو زهرة : تاريخ الجدل ، **مرجع سابق** ، ص ٩ .
(٥) _____ : تاريخ المذاهب الإسلامية ، **مرجع سابق** ، ص ٩ .

تستولي على كثير من الناس أوهام تجعلهم يسلمون بأفكار غريبة في ذاتها وهم باعتناقهم لها يخالفون من لم يقعوا تحت تأثير أوهامهم وليست تلك الأوهام مقصورة على العوام ، بل أنها قد تكون في أشد أحوالها عند بعض خواص العلماء ".(١)

(٨) **التعصب** : التعصب لفكرة معينة يجعل الإنسان ينظر إليها من جانب واحد ويرتكز عليه لا يدرك غيره ومحاولة إقناع الآخرين بذلك ، وهذا ما ذكره الإمام بقوله : " إن التعصب لفكره يحمل الإنسان على الجمود عليها ، والتعلق بأهدابها ، ودعوة الناس إليها وتحبيذها".(٢)

هذه هي بعض الأسباب التي ذكرها الإمام ، والتي تؤدى إلى الاختلاف الفكري بين الناس في إدراك الحقيقة ، والتربية الإسلامية منذ العصور القديمة قد راعت هذا الاختلاف ، وهدفت إلى الاستفادة من هذا الاختلاف في تنمية قدرات الأفراد العقلية ، واتساع أفقهم ، وعلو تفكيرهم ، وتدريبهم على التعبير عن وجهة نظرهم ، وإبداء آرائهم فيما يتعرضون له من مسائل وقضايا ، فعلى القائمين على أمر التربية والتعليم مراعاة هذا الاختلاف والعمل على حسن استغلاله بما يسهم في تحقيق تنمية شاملة للمتعلمين في مختلف فروع العلم والمعرفة .

ولكى يتسنى لنا مراعاة ما بين المتعلمين من فروق فردية فى القدرات والاستعدادات والأفكار لابد من توزيع المهام والاختصاصات فيما بينهم بما يتفق مع نشاط الإنسان وعمله ، ويكلف كل إنسان بما هو في وسعها وطاقتها ، وهذا سوف يحقق نوعا من المساواة بين الأفراد، لأن كل إنسان يسعى إلى تحقيق ما هو مكلف به ، كما أن هذا يحقق نوعا من التكامل بحيث يعمل كل إنسان فيما هو مختص به .

(١)محمد أبوزهرة : تاريخ الجدل ، **مرجع سابق** ، ص ١٠ .
(٢) **المرجع السابق** : ص ٢٥٣ .

فحكمة الله تعالى جعلت الناس متفاوتون في المواهب والمهارات مما ترتب عليه توزيع للمهام والاختصاصات ، التي هي من باب فروض الكفاية ، فمن كانت لديه القدرة على القيام بنوع منها كان مطالب به على وجه الخصوص ، وهذا ما قرره الإمام بقوله : " فروض الكفاية جملة مطلوبة من الجميع ، ولكنها موزعة على الطوائف والآحاد ، فالتفقه في الدين فرض كفاية ، وعلم الهندسة فرض كفاية ، والزراعة فرض كفاية ، وكذلك الجهاد والطب ، وكل صناعة أو عمل لا تستغني عنه الجماعة ، ويقوم به نظامها الاجتماعي والاقتصادي يخاطب به الكافة ، ويطالب به على الخصوص من الخاصة من عنده القدرة عليه ".(١)

فتقع على المربين مسئولية اكتشاف هذه المواهب ، وتحديد قدرات هؤلاء المتعلمين منذ بدايتها ، حتى يتسنى لهم توجيههم وجهة صحيحة تتناسب مع ميولهم ومواهبهم فبعضهم لديه قدرات تؤهله لمواصلة العلم والتعليم ، فينبغي الاستمرار به وتشجيعه والسير به نحو العلم والمعرفة ، وبعضهم لديه مهارات وقدرات في أعمال الصناعات، فعلى المربين توجيههم نحو هذه الأعمال ، وبيان فضلها ومكانتها .

كذلك ينبغي على المربين تنشئة وتربية المتعلمين على العمل الجماعي من خلال تقسيم الطلاب إلى مجموعات ثم تكليف كل واحد منهم القيام بعمل معين من خلال مجموعته وفي هذا تدريب لهم على العمل داخل الجماعة ، وبث روح التعاون بينهم ، نظرا لأن المجتمع في حاجة إلى توزيع المهام والاختصاصات ، حتى يتحقق التكامل في جميع جوانبه ، فكل إنسان محتاج لأخيه الإنسان، وميسر لما خلق له .

من خلال ما سبق يتضح لنا تأكيد الإمام على ضرورة مراعاة ما بين المتعلمين من

(١) محمد أبو زهرة : أصول الفقه ، **مرجع سابق** ، ص ٣٨ .

فروق فردية ، وضرورة تعليمهم على قدر عقولهم ، وتكليفهم بما هو في استطاعتهم، وتخير الأساليب المناسبة التي تناسب الصنفين من الخاصة والعامة ، بحيث يخاطب كل منهم على قدر فهمه ، وقدرته على إدراك ما يلقي إليه ، وباللغة التي يفهمونها.

٢- الحرية والديمقراطية في التعليم :

استنادا إلى موقف الإمام أبوزهرة السابق فيما يتصل بالحرية وتأكيده على ضرورة تحقيق الحرية للإنسان بكل صورها وأشكالها في إطار مجموعة من القواعد والقيود النفسية النابعة من داخل الإنسان التي تعتمد على العقل والتفكير فى الحكم على الأشياء وتجنب الاعتماد على العاطفة والهوى واتباع الشهوات ، فى ضوء ذلك تتحقق حرية للشخص فى التصرف دون الاعتداء على حقوق الغير مع مراعاة الشخص لحقوقه ومعرفة واجباته ، مع مراعاة الإنسان لحقوق غيره فى إطار ما يرسمه المجتمع ويحدده من قواعد وضوابط لحماية هذه الحريات ، وبذلك يكون الإنسان مسئولاً عما يقوم به من أعمال وما يصدر عنه من تصرفات فى إطار تلك الحرية المكفولة له ، لأن الحرية لها تبعات ومن تبعاتها الالتزام المبنى عليها ، لذلك يؤكد الإمام على ضرورة مراعاة الحرية بكافة صورها وأشكالها ومنها الحرية فى التعليم.(١)

فالحرية والديمقراطية فى التعليم من المبادئ الهامة التى حرصت عليها التربية الإسلامية، وهذه الحرية تقوم على أساس ترك حرية الاختيار للمتعلم من حيث اختيار نوعية التعليم التي تتفق مع ميوله واتجاهاته، وتحقق أهدافه ورغباته، في ضوء بعض التوجيهات الخارجية من المحيطين به .

وقد ذكر الإمام أن هذه الحرية موجودة في الإسلام منذ أقدم العصور حيث يقول : "

(١) انظر : الحرية عند الإمام أبو زهرة ، ص ١٣٤ .

اتسم التعليم في الإسلام بالحرية فقد كان كل امرئ يعني بتربية ولده بالطريقة التي يرتضيها ولا يرهقه أحد في أي أمر من أمور ولده ، فمنهم من كان يحضر المعلمين لولده ومنهم من كان يرسل ولده إلي مدارس صغيرة ، وهي ما كان يسمى في الماضي (الكتاتيب) ، حتى إذا اشتد الغلام وترعرع اتجه إلى طلب العلم من رجاله ، فهذا يتجه إلى الحديث ويطلبه من مظانه ، وهذا يتجه إلى الفقه فيلتزم فقهيا يتخرج عليه ، ولكنه لا ينقطع عن غيره انقطاعا تاما ، ومنهم من يتجه إلى الفلسفة فيطلبها من مظانها ومن رجالها ، ومنهم من يتجه إلى العربية فيلتزم علماءها، ثم يبحث هو من بعد ، فكان كل عالم كأنه مدرسة قائمة بذاتها".(١)

فالتعليم كان حرا يعتمد على ميول المتعلم وقدراته ومواهبه ، بحيث يكون التعليم في المرحلة الأولى عام لكل الناس ، سواء عن طريق إحضار المعلمين ، أو عن طريق إرسالهم إلى الكتاتيب، وبعد أن ينمو المتعلم ويظهر نبوغه وذكاؤه ، يتجه إلى طلب العلم من رجاله فكل عالم متخصص في علم من العلوم يجتمع الطلبة حوله للتعلم ، وللمتعلم حرية اختيار نوعية التعليم التي تتفق مع ميوله ومواهبه ، فكانت هذه الحرية دافعا للمتعلم ، وحافزا له نحو مواصلة التعلم ، وخلق روح المنافسة بين المتعلمين .

ومن الأمور المستفادة في العملية التعليمية في ظل تلك الحرية تنمية القدرة على تحمل المسئولية والاعتماد على النفس عند المتعلمين ، لأن هذه الحرية تلزم صاحبها بالنتائج التي تترتب على اختياره ، فهي ليست حرية مطلقة ، يختار فيها المتعلم ما يشاء دون الالتزام بنتائج اختياره ، وهذا ما أكده الإمام بقوله : " الحرية لها تبعات ، ومن

(١) محمد أبو زهرة : تنظيم الإسلام للمجتمع ، **مرجع سابق** ، ص ١٧٦ .

تبعاتها الالتزام المبني عليها "[1] ، فيكون المتعلم على علم ويقين بأنه سوف يتحمل نتيجة اختياره ، وبذلك تنمو لديه القدرة على حسن الاختيار والقدرة على تحمل المسئولية .

يقرر الإمام أن هذه الحرية في التعليم منذ القدم ، قد ترتب عليها الكثير من النتائج الإيجابية بقوله: " وقد أنتجت تلك الحرية العلمية التي كانت تسيرها الرغبة الحقيقة أطيب النتائج ، فهذه المكتبة العربية التي طبع بعضها ، ومازالت الدفائن المطمورة التي لم تطبع أضعاف ما طبع بشاهدة ، ولا نجد في الحاضر من عنده همة الماضيين في الإنتاج".[2]

فما تركه الأقدمون من ثروة علمية في مختلف فنون العلم والمعرفة ، خير شاهد ودليل على تفوقهم ونبوغهم العلمي ، فلم يتركوا مجالاً من مجالات العلم إلا وكانت لهم فيه إسهامات بارزة ، وعلامات واضحة ، وكل ذلك كان في ضوء حرية تعليمية مكفولة لهم كان لها أكبر الأثر في نبوغهم وتفوقهم والتعليم في عصرنا الحاضر في حاجة إلى هذه الحرية حتى يستقيم ويمكنه التغلب على مشكلاته .

٢- تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم :

استناداً إلى موقف الإمام السابق فيما يتصل بالعدالة وأشكالها ، وأنها الأساس فى أي بناء اجتماعى سليم لأنها تقوم على أساس توزيع القوى الإنسانية فى هذا الوجود بحيث تسير كل قوة فى مسارها الذى ارتسمته ونهجته ، وبذلك تتوزع القوى الإنسانية ويؤكد الإمام على أن موجب العدالة الاجتماعية يقتضى تمكين كل ذى قوة من أن يعمل بمقدار طاقته ، بحيث يتساوى الجميع فى تهيئة الفرص ، لكى تظهر كل القوى وتوضع كل قوة فى مرتبتها، فمسئولية المجتمع تقتضى تهيئة هذه الفرص أمام الجميع ، وتوجيه كل فرد بحيث يعمل فيما هيئ له ويسر ، وبذلك يتحقق بناء اجتماعى قوى متماسك بين

(١) محمد أبوزهرة : الملكية ونظرية العقد ، **مرجع سابق** ، ص ١٨٥ .
(٢) _____ : تنظيم الإسلام للمجتمع ، **مرجع سابق** ، ص ١٧٦ .

مختلف هذه القوى، لذلك يؤكد الإمام على ضرورة مراعاة ما بين المتعلمين من فروق فى القدرات والاستعدادات والميول ، وتهيئة الفرص أمام الجميع فى اختيار نوعية التعليم التى تتفق مع هذه الميول والاتجاهات وتتناسب مع تلك الإمكانات والاستعدادات.(١)

حيث أن التعليم فى الإسلام يقوم على أساس المساواة بين جميع الأشخاص فقد سوى الإسلام بين الأغنياء والفقراء في حق التعليم ، ومهد لهؤلاء وأولئك الفرص المناسبة لتعليمهم ، فكل إنسان له مواهبه وميوله واستعداداته التي تؤهله إلى دراسة فرع معين من فروع العلم والمعرفة ، وبذلك تتحقق المساواة وتكافؤ الفرص في التعليم .

وعن حقيقة (تكافؤ الفرص) يقول الإمام : " ليس تكافؤ الفرص أن يدفع الكل إلى التعليم في كل مرحلة دفعا ، سواء أكانت مواهبه تسعفه ، أم لم تكن مواهبه مسعفة له بل تكافؤ الفرص أن يمكن كل ذي موهبة من أن تظهر مواهبه وتنكشف ، ثم يوجه إلى ما يتفق مع تلك المواهب ".(٢)

حيث أن مواهب الشخص هي الأساس في توجيه الشخص نحو مواصلة التعليم والسير في مراحله المختلفة ، كل حسب قدراته ومواهبه فإن : " مواهب العالم هي الدعامة الأولى لطلب العلم، وهي المفتاح الذي يفتح به باب المعرفة ، وهي الوعاء الذي ينبثق منه نور العلم ".(٣)

فمواهب الشخص وميوله ينبغي أن تكون هي الأساس في توجيه المتعلمين نحو نوعية التعليم التي تتفق مع هذه الأمور ، فيجب على المعلمين مراعاة قدرات المتعلمين وميولهم والعمل على اكتشاف مواهبهم ومهاراتهم، وتوجيههم بما يتناسب مع تلك المواهب

(١) انظر : العدالة وأثرها في المجتمع الإنسانى عند الإمام أبوزهرة ، ص١٢٠ .
(٢) محمد أبو زهرة : تنظيم الإسلام للمجتمع ، **مرجع سابق** ، ص ١٧٨ .
(٣) _____ : ابن حزم حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٦٦ .

والاستعدادات، وبذلك يتجه المتعلم إلى نوعية العلم التي يرغب فيها وتتفق مع قدراته وبذلك يحقق أفضل النتائج وكل الأهداف، وقد أكد على ضرورة التخصص والتعمق في علم من العلوم حسب الميول والاستعدادات بقوله : " وإن التخصص والتعمق في مطلب من هذه المطالب السامية فرض كفاية في الأمة ، فيجب أن يكون في الأمة مهندسون وأطباء ورؤساء وقادة جيش ، وغير ذلك، ولكل نوع من هذه ناس يميلون إليها ، ولهم قدرة عليها وواجب الأمة أن تسهل ظهور مواهب هؤلاء أولاً ، وتوجيههم إلى ما يوافق ميولهم ثانياً وتسهيل سبل التعمق لمن هم أهله ثالثاً ".(١)

ويترتب على هذا التوزيع للقوى نوعاً من العدالة الاجتماعية بين كافة أفراد المجتمع ، وقد أكد ذلك الإمام بقوله : " موجب العدالة الاجتماعية ليس التسوية المطلقة بين الناس ، إنما موجبها أن يتساوى في تهيئة الفرص ، فيتوافر التعليم المثمر لكل الناس حتى تظهر القوى، ويوسد كل إنسان لما يصلح له من عمل ، ووضع كل امرئ فى العمل المناسب وهو التنظيم الجماعى السليم الذى يتوافر فيه إنتاج كل القوى ، وتوضع كل قوة في مرتبتها ، وأن توجد الكفالة للعاجزين عن العمل لكي يعيشوا وينالوا حظهم فى الحياة وذلك بأن يهيأ لكل من لا يجد أسباب العيش المسكن المناسب والكساء المناسب والغذاء الذي يدفع المخمصة والجوع ".(٢)

في ظل هذا التوزيع لكل القوى تتحقق كثير من الأهداف المرجوة من التعليم بما يعود بالفائدة على المجتمع بصفة عامة من خلال تحقيق تكامل بين كافة هذه القوى بما يضمن توفير كافة احتياجات المجتمع من المتخصصين والفنيين والعاملين في مختلف فروع

(١) محمد أبوزهرة : تنظيم الإسلام للمجتمع ، **مرجع سابق** ، ص ١٧٥ .
(٢) _____ : المجتمع الإنسانى في ظل الإسلام ، **مرجع سابق** ، ص ١٠٦ .

العمل في المجتمع، وبما يعود بالفائدة على الفرد بصفة خاصة بحيث يتجه الفرد إلى دراسة ما يتناسب مع ميوله وقدراته ومهاراته ، فيكون توجهه نحو هذه الدراسة عن رغبة واقتناع وبذلك تحقق أطيب النتائج ، وكذلك تنمي لديه قدرة الاعتماد على النفس وتحمل مسئولية اختياره وتوجهه ، وبذلك تتحقق المساواة وتكافؤ الفرص في التعليم .

٤- مراعاة آداب التعليم والتعلم :

استناداً إلى موقف الإمام فى المجتمع الموجه إلهيا ، والذى يقوم على تميَّز المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام وتفرده عن بقية المجتمعات الأخرى ، سواء من حيث المصدر المستمد منه والمعتمد عليه وهو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، أو من حيث الأساس الذى يقوم عليه هذا المجتمع وهى العقيدة التى هي الأساس فى بناء وتنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع على أساس المودة والرحمة والائتلاف ومراقبة الله تعالى فى كل أموره ، أو من حيث النظام الأخلاقى الذى يقوم عليه هذا المجتمع على أساس الفضيلة والعدالة والحرية واحترام حقوق الآخرين ، فى ظل هذه الأمور فإن المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام تقوم العلاقات بين أفراده على أساس روحى ومعنوى وليس على أساس مادى تسيطر عليه المصلحة والمادة ، لذلك فإن هذه العلاقات تتسم بالترابط والتماسك وتكون ممتدة ودائمة.(١)

لذلك يؤكد الإمام على ضرورة مراعاة جملة من الآداب التى تسهم فى نجاح عملية التعليم، باعتبار أن المدرسة إحدى مؤسسات المجتمع ، والتى تسهم فى تنمية العلاقات القائمة بين المتعلمين ، لذلك تقتضى عملية التعليم والتعلم ضرورة مراعاة مجموعة من القواعد والآداب سواء من جانب المعلم أو المتعلم حتى تؤتى هذه العملية ثمارها وتحقق

(١) انظر : خصائص ومميزات المجتمع الإنسانى في ظل الإسلام عند الإمام أبوزهرة ، ص ١٠٦.

أهدافها ، ومن أبرز هذه الآداب التي ذكرها الإمام (مراعاة حسن معاملة المتعلمين وتأديبهم) ، حيث أن الشفقة على المتعلمين وحسن معاملتهم من المبادئ التربوية الهامة التي تنادي بها التربية المعاصرة ، لما يترتب على ذلك من الاستقرار النفسي ، وجذب الانتباه وحب التعليم والتعلم ، وتنمية روح الائتلاف وحب الآخرين .

ويؤكد الإمام على أن حسن معاملة المتعلمين والرفق بهم لها أكبر الأثر عليهم فيقول: "إن ذلك بلا ريب يقرب النفوس ويؤلفها ، وإذا تألفت النفوس سهل وصول الحق إليها ، ودخل إلى القلوب من أبوابها ، وخصوصا إذا كان العقل يؤيد ما يدعون إليه فإن المعاملة الحسنة تدني ، والجفوة تبعد ، والقول الطيب يهدي وغيره ينفر ، ويأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يقولوا قولا حسنا ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ البقرة : ٨٣".(١)

فحسن معاملة المتعلمين تؤدي إلى تهيئتهم وشعورهم بالراحة النفسية مما ينعكس أثره على تعلمهم وثقتهم في المعلم وفي أنفسهم ، بخلاف القسوة والغلظة فإنها تؤدي إلى خوف ورهبة المتعلمين ، ومحاولة الانصراف والهروب بصفة مستمرة عن مواصلة التعلم .

ولا يترتب على الرفق وحسن المعاملة ترك التأديب ، وإطلاق حرية التصرف للمتعلم كيف يشاء، فينشأ المتعلم ضعيف الإرادة وقليل الهمة ، ولكن من الضروري استعمال التأديب في الحدود التي لا تضر بالمتعلم كما قرر ذلك الإمام بقوله : " إن التأديب ضرورة ويجب أن تقوى إرادة الطفل لا هواه ، وتقوية الإرادة بتنبيهه بقوة ما هو صالح ولو بشيء من الحزم من غير عنف واضح يجعله في حال رهيبة دائما ، حتى يقدم على ما يفعل وهو يعلم نتائجه ، وإن الذين يرغبون من غير حزم ينشئون ضعيفي الإرادة تتحكم بهم أهواؤهم ، ويجب على المربي أن يجمع بين الترغيب والحزم ، حتى لا تتمايع نفس الصبي ، وحتى لا

(١) محمد أبو زهرة : الدعوة إلى الإسلام ، **مرجع سابق** ، ص ٥٣.

تكره فتسخط ".(١)

فالإمام يؤكد على ضرورة أن يعتمد المربي على الترغيب والترهيب ، بحيث ينشئ الطفل قوي الإرادة ، قوي الشخصية ، لديه ثقة في نفسه ، وقدرة على الصبر والاحتمال وتربية على احترام الآخرين وتقديرهم .

ولا يعني استخدام التأديب من جانب المعلم ترك حرية الإفراط في استخدامه من جانب المعلم بل إن له مراتب حددها الإمام بقوله : " إذا كان للمعلم حق التأديب يمنعه من أن يرتكب ما يضره أو يضر غيره ، بالموعظة الحسنة الرفيقة ، ثم باللوم الشديد، ثم باستنكار أفعاله بالإعراض عنه تأديبا وتهذيبا ، وليس هجرا أو خصاما ، ثم بالعقاب البدني ينزل به، على أن يلاحظ فيه ألا يكون تعذيبا ، بل يكون في معنى التوجيه "(٢) فكل درجات التأديب المقصود منها التهذيب والتوجيه وليس التعذيب .

ويدخل في عموم آداب التعليم والتعلم التى ذكرها الإمام والتى ركز عليها (النهى عن التعصب للأفكار) حيث يقول : " إذا تغلبت على الإنسان فكرة ، فتجتاز عقله وتسيطر عليه ، وتمنعه من أن تصل إليه فكرة تناقضها، أو خاطرة تنازعها ، تهتاج أعصابه، ويثور ثورته إن هوجم فيها"(٣) .

يصف الإمام فيما سبق الإنسان المتعصب الذي يقتنع بفكرة من الأفكار ويقف عندها سواء كانت صحيحة أم لا، فإنها تسيطر عليه وتوجهه، بحيث لا يدرك غيرها، ويقف بعقله وفكره عند هذا الحد ، ويدافع عن هذه الفكرة بكل ما أوتي من وسائل دفاعية محاولا إقناع الآخرين بها،وعندما يعارضه الآخرون يحدث له نوع من الثورة والهياج مدافعا عن

(١)محمد أبوزهرة: تنظيم الإسلام للمجتمع ، **مرجع سابق** ، ص ١٧٩ .
(٢)_____: الولاية على النفس ، **مرجع سابق** ، ص ٢٤ .
(٣) _____ : تاريخ الجدل ، **مرجع سابق** ، ص ١٠ .

فكرته، ويرجع الإمام السبب في التعصب لفكرة ، والهوس بها ، والتشدد فيها إلى : " سذاجة في التفكير ، وضيق فى التصور، وبعد عن العلوم ، فتكون من مجموع ذلك نفوس مؤمنة متعصبة لضيق نطاق العقول بها ".(١)

فمنشأ هذا التعصب لفكرة راجع إلى ضعف في القدرات العقلية عند الشخص المتعصب بحيث لا يدرك كل جوانب الموضوع ولا يلم بها ويقف بعقله وفكره عند هذا الحد ويقنع نفسه بذلك ، كذلك من أسباب التعصب نقص العلوم لدى الشخص حيث أن الشخص الذي يتسم بالبحث والإطلاع وكثرة المعارف والمعلومات لا يقف عند فكرة معينة ويتعصب لها ، وقد يكون التعصب عند الإنسان راجع إلى تكبر الشخص وغروره عن سؤال الآخرين والاستفادة منهم أو تكبره عن الرجوع عن رأيه، أو ضعف في السيطرة على أعصابه ، كل ذلك قد يؤدي إلى التعصب .

ويترتب على التعصب اختلاف الأشخاص ، والحدة في القول ، وقد يصل الأمر إلى حد الألفاظ الخارجة التي لا تليق ، وإشاعة جو من الغموض وعدم الانضباط ، لأن كل واحد من المتعصبين يحاول الانتصار لما ذكره ، وقد أكد على ذلك الإمام بقوله : " والتعصب يدفع إلى المهاترة ، والمهاترة تدفع إلى الحمق والجهل "(٢) ، لذلك كان من الضروري : " الهدوء في القول، والابتعاد عن إثارة عوامل الخصام ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، فإن الخصام يدفع كلا المتخاصمين إلى أن يتعصب لفكرته "(٣) ، فالمجلس الذي يسوده الوقار والسكينة والهدوء في القول ، وطلب الحقيقة لأجل الحقيقة ، لا يظهر فيه أي لون من ألوان التعصب .

ولا يقتصر التعصب على الأفكار فقط ، فقد يكون التعصب لدين من الأديان وعن

(١) **المرجع السابق** : ص ١٢٧ .
(٢) محمد أبو زهرة : الخطابة أصولها تاريخها فى أزهر عصورها عند العرب، **مرجع سابق** ، ص ١٢٨.
(٣) **المرجع السابق** : ص ١٢٨ .

سبب هذا التعصب يقول الإمام : " منشؤه ليس قوة الإيمان به ، إنما منشؤه ضعف في النفوس ، وانحياز فكري ، وعدم النظر إلى الأمر من كل نواحيه ،ولا شك أنه إذا دانت القلوب بعد اغترابها، ولانت بعد عصبيتها ، تركت الانحياز إلى الائتلاف ، والابتعاد إلى الاقتراب ، وعندئذ يدخل نور الإيمان ، وتنفتح أمامه المغاليق ".(١)

فالنهي عن التعصب ، والجمود عند فكرة معينة ، من أبرز المبادئ التي نهى عنها الإسلام، وقد حرصت التربية الإسلامية على تجنبها فعلى المربين مراعاة ذلك مع طلابهم بحيث يتم تربيتهم على الحوار والمناقشة ، وحسن الإنصات لآراء الآخرين، والاستفادة منها والإخلاص في طلب الحقيقة ،وسعة في الأفق ، وعلو في التفكير ، وقوة في النفس ، وإحاطة شاملة بكل جوانب الموضوع .

ومن جملة الآداب التى أكد الإمام على ضرورة مراعاتها فى عملية التعليم والتعلم مراعاة (النهي عن الجدل) ففى قوله تعالى:

﴿ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ النحل : ١٢٥

هذا أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ بأن تكون الدعوة إلى الله تعالى قائمة على الحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن لما يترتب على ذلك من الإقناع وقبول الدعوة .

وقد فسر الإمام قوله ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ : " أي بالطريقة التي هي أحسن في التوصيل إلى الإقناع ، فإن لم يكن إقناع فتقريب ، فإن لم يكن تقريب لا يكن تنفير ، فهو يبين لهم الحق من غير مخاشنة وإن خاشنوه وفي غير غضب ، وإن غاضبوه فالنبي

(١) محمد أبو زهرة : الدعوة إلى الإسلام ، **مرجع سابق** ، ص ٩ .

ﷺ لا يغضب ولكن يهدي فلا يفجؤهم بما لا يحبون بل يأتيهم بالحق مما يحبون ما دام لم يكن باطلا ، ولا يكون جافيا في قول أو خلق ، ولا يكون غليظا بادي الغلظة ، بل يكون ودودا بادي المودة من غير أن يكون مداهنا في حق ".(١)

والجدل الذي لا يتجه إلى إدراك الحقيقة يترتب عليه اختلاف بين المتجادلين بحيث يسعى كل واحد منهم في محاولة إقناع الآخر بما عنده ،وقد ذكر ذلك الإمام بقوله : "الجدل يكون الغرض منه إلزام الخصم ، والتغلب عليه في مقام الاستدلال ".(٢)

فالإنسان المجادل يجعل كل همه وهدفه هو إقناع الآخرين بما عنده ، والعمل على إلزامهم به ، وفي ذلك لا يكون متجها إلى إدراك الحقيقة لذاتها ، بل جل عنايته هو التغلب على خصمه وفي ذلك ضياع للحقيقة ، وقد أكد ذلك الإمام بقوله : " لأن الحقائق لا تطمس إلا بمثارات الجدل ، ولا تذوب إلا في حومة الخصومة البيانية ، ولأن من جعل طلب هذا العلم الديني بالجدل فقد جعل دينه هدفا للخصومات ، وغرضا لسهام الطعن ".(٣)

والجدال يجعل كلا من المتجادلين في جانب ، وكل واحد منهم يحاول التغلب على خصمه بكل ما أوتي من قوة ، وفي ذلك تنمية لروح النفور والبعد والمغالبة ، وقد ذكر ذلك الإمام بقوله : " ولا يجادل في الحقائق ، فإن المجادلة تستلزم المغالبة ، وإرادة الغلب من كل من المتجادلين ، وإرادة الغلب تمنع وصول الحق ، وإذا كان لابد من المجادلة فإنها تكون بالتي هي أحسن ، ولا تكون بالمعاندة والمغالبة ، بل بالاتجاه إلى المعنى الجامع كما قال تعالى:

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ العنكبوت : ٤٦ ".(٤)

(١) محمد أبوزهرة : زهرة التفاسير ، جـ ٨ ، **مرجع سابق** ، ص ص ٤٣٠٤ ، ٤٣٠٥.
(٢) _____ : تاريخ الجدل ، **مرجع سابق** ، ص ٥ .
(٣) _____ : ابن حنبل حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ١٣٩ .
(٤)محمد أبوزهرة : الدعوة إلى الإسلام ، **مرجع سابق** ، ص ٢٧ .

وإن كان الأمر يستلزم المجادلة والمناظرة فإنها ينبغي أن تكون على الوجه الذي أمر به المولى عز وجل ، وحث عليه النبي ﷺ ، بحيث تكون المجادلة عن طريق القول الحسن والمعاملة الحسنة، " لأن المودة تدني ، والمحبة تجعل السبيل إلى الإقناع معبدا ، والإسلام دين الألفة ، والدعوة بالائتلاف أقرب وأهدى سبيلا ، ولو جئت إلى مخالفك بما يجمع بينكما مبتدئا به انتهيت إلى أن يوافقك فيما تختلفان فيه ، ويدخل ذلك كله في عموم قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ النحل :١٢٥ ".(١)

فعلى المربين أن يكونوا قدوة في تربية وتنشئة أبنائهم على طرق الوصول إلى الحقيقة من غير نزاع ولا شقاق ، وتنمية روح المودة والمحبة والألفة بينهم ، وتعويد الأطفال على طرق وأساليب الحوار والمناقشة بالحكمة والموعظة الحسنة.

هذه هي أهم مبادئ التربية الإسلامية عند الإمام والتي أمكن استخلاصها من خلال كتاباته ومؤلفاته والتي فيها دعوة إلى ضرورة العودة إلى التراث الإسلامي في تربية وتنشئة أبنائنا تربية صحيحة .

أركان العملية التعليمية وهي (العلم – المتعلم – المعلم):

يتناول هذا الجزء من الفصل بالدراسة والتحليل أركان العملية التعليمية الثلاثة (العلم – المتعلم – المعلم) من خلال كتابات ومؤلفات الإمام ، وهي كالآتي :

أولاً : العلم ومظاهر عناية الإسلام به :

الدعوة إلى العلم والتعلم هي بداية رسالة الإسلام التي تقوم على وحدانية الله وإخلاص العبودية له، والذي حمل هذه الرسالة هو الإنسان ، الذي كرمه وميزه المولى عز

(١) **المرجع السابق** : ص ٢٧ .

وجل على سائر خلقه بالعقل ، الذي عن طريقه يتمكن من معرفة وإدراك ما حوله وتسخير ما في الكون لخدمته ولن يتحقق ذلك إلا عن طريق العلم والمعرفة والتدبر والتفكر والنظر في ملكوت الله .

وعن خلافة الإنسان في هذه الأرض وما أودعه الله في الإنسان من قدرة على العلم والمعرفة يقول الإمام : " وردت النصوص القرآنية باعتبار الإنسان خليفة الله في هذه الأرض وأن الله سخر له ما في الكون وجعله تحت سلطانه وفي قدرته ، وأن الله أعطاه الاستعداد للعلم بكل شيء في الكون ، فأودع في أصل تكوينه العقل الذي يستطيع به الاستقلال في إدراك حقائق هذا الكون وما فيه ، وأعطاه الاستعداد للعلم بما في السماوات وما في الأرض".(١)

وإذا كانت رسالة الإسلام تقوم على العلم والمعرفة ، فإن هناك العديد من المظاهر التي تدل على عناية الإسلام بالعلم والعلماء ، من هذه المظاهر التأكيد على ضرورة تبليغ العلم وعدم كتمانه من جانب العلماء لأن هذه أمانة جعلهم الله أمناء عليها يجب تبليغها للناس وقد أكد ذلك الإمام بقوله : " إن كتمان العلم فيه فساد في الأرض ، لأنه يجعل الناس في متاهة من الباطل فتنقلب الأوضاع ، ويختلط الحق بالباطل ، ولا يعرف الناس سبيلا للهداية ، وتسد مسالك الخير ، إذ لا هادي إلا أن يرحم الله عباده بها ، ويرشدهم إليها ".(٢)

فكان لزاما على العلماء أن يعلموا الناس ما علموا حتى يكون الناس على بينة من الحق وحتى يدركوا حقائق الأشياء وما يشتمل عليه الكون من أسرار ، كلها تدل على وحدانية الله وقدرته .

(١) محمد أبو زهرة : العلاقات الدولية في الإسلام ، **مرجع سابق** ، ص ٢٠ .
(٢) _____ : زهرة التفاسير ، جـ١ ، **مرجع سابق** ، ص ٤٨١ .

في تفسير قوله تعالى:﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ آل عمران : ١٦٤ "

يقول الإمام : " تعليم الكتاب هو تعليمهم ما اشتمل عليه من أحكام ببيان ما عساه يكون فيه من نصوص تعلو على مداركهم ، وتفصيل المجمل فيه ، وتطبيقه عليهم فتعليمه غير تلاوته ، وتعليمه ببيان أحكامه ، وقيل إن تعليم الكتاب هو تعليم المؤمنين الكتابة ونقلهم من الأمية إلى العلم ، فتعليم العلم في ذاته غاية من غايات الإسلام ، ولذا كانت أولى آياته ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾ العلق:١ ، وتعليم الحكمة فسره الإمام الشافعي بأنه تعليم السنن العلمية ، ويصح أن تفسر بما هو أعم من ذلك فتشمل العلم بأسرار الكون وأسرار النفوس والسلوك القويم "(١) ، فهي دعوة من الإمام إلى ضرورة تبليغ العلم وعدم كتمانه ، نظرا لأن العلم غاية من غايات الإسلام ، وهدف من أهدافه ، عملا بأوامر الله تعالى وتنفيذا لتعاليم نبيه ﷺ .

ومن مظاهر عناية الإسلام بالعلم ضرورة التفرغ للعلم والانصراف له من جانب طالب العلم ، وقد ذكر ذلك الإمام بقوله : " كان للانصراف إلى العلم من ذي المواهب الذي تلقى على العلماء الأثر الأكبر في تكوين علمه ، والوصول فيه إلى أبعد الغايات فإن العلم لا يعمر قلبا لم ينصرف إليه ويعرض عما سواه ، وهو يحتاج إلى عكوف كما يعكف العابد على العبادة ".(٢)

فالإمام يؤكد على ضرورة التفرغ التام من طالب العلم ، لأن العلم يحتاج إلى وقت وجهد حتى يصل الإنسان فيه إلى غاياته وأهدافه ، ولا يحصل الإنسان عليه من خلال مواهبه واستعداداته بل إنه يحتاج إلى جهد وتعب وانصراف تام من طالب العلم .

---

(١) **المرجع السابق** : جـ ٣ ، ص ١٤٩٠ .
(٢) محمد أبو زهرة : الإمام الصادق حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٩٣ .

والشخص قد تتوافر له كل الإمكانات والقدرات التي تؤهله للعلم وتمكنه من الدراسة والتحصيل ، وكذلك تتوافر له من الشيوخ والموجهين أشخاص أكفاء في كل فنون العلم والمعرفة، وبرغم هذه الظروف والإمكانات إلا أن الشخص ينشغل ويشغل نفسه بأمر آخر من أمور الدنيا غير العلم ، يوجه كل طاقاته وإمكاناته ونشاطاته نحو هذه الأمور مما يؤثر على نشاطه في طلب العلم ، ومن ثم ينصرف عن العلم ويتجه وجهة أخرى غير العلم وقد قرر ذلك الإمام بقوله : " قد يؤتى الرجل كل المواهب التي تهيئه للعلم ، ويتلقي عن الشيوخ في كل أسباب المعرفة ولكنه يشغل نفسه بغير العلم ، فتكون قواه لكل ما شغل نفسه به ".(١)

وقد ضرب الإمام كثيراً من الأمثلة من المسلمين الأوائل الذين نبغوا في بداية حياتهم في مختلف فنون العلم والمعرفة ، ولكن شغلتهم أمور أخرى عن مواصلة العلم فانصرفوا عن العلم وسلكوا طريقا آخر غيره حيث يقول : " إن كثير من رجالات الإسلام قد ابتدءوا حياتهم علمية ، ثم انصرفوا عن العلم ، فعمر بن عبد العزيز قد تلقى العلم من ينابيعه على شيوخ التابعين ، ولكن شغلته الولاية عن الانصراف إليه ، وأبو جعفر المنصور تلقى علم التابعين ، ولكنه انصرف إلى السياسة وشئون الملك بدل الانصراف إلى العلم ومثل ذلك كثير من أمراء المسلمين ".(٢)

فالإمام يؤكد من خلال ما سبق أن البداية العلمية والتفوق والنبوغ العلمي في الصغر لا يعني بالضرورة أن يتوجه الإنسان إلى العلم في الكبر ، ويكون عالما بارزا ، لأن الشخص قد يشغله عن العلم أمرٌ من أمور الدنيا من مال أو جاه أو منصب ، وقد يستهويه

(١) **المرجع السابق** : ص ٩٣ .
(٢) **المرجع السابق** : ص ٩٣ .

هذا الأمر فينصرف عن العلم لانشغاله به ، لذلك كان من الضروري أن يتوافر لطالب العلم من الوقت ما يمكنه من البحث والدراسة ، وأن تتهيأ له سبل الحياة المناسبة من ملبس ومسكن ومأكل ومال حتى لا ينصرف عن العلم .

ومن مظاهر عناية الإسلام بالعلم الحث والتأكيد على ضرورة الاستمرار في طلب العلم وهذا أمر مهم لنا الآن نظرا لأننا نعيش في عصر تتنامى فيه المعرفة بشكل مستمر وبصورة سريعة ، فإن طالب العلم يحتاج إلى الاستمرارية والزيادة في طلب العلم حتى لا يتخلف عن الآخرين ومواكبة العصر .

ففي تفسير قوله تعالى﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ من طه : ١١٤ ، يقول الإمام : " نبه سبحانه وتعالى نبيه ﷺ إلى ذلك العلم وأمره بأن يطلب الزيادة فى العلم ، لأن كمال الإنسان في العلم وطلب الزيادة فيه فقال: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

الأمر للنبي ﷺ بأن يطلب الزيادة في العلم بالضراعة إليه سبحانه وتعالى ، وبالسعي في طلبه ، وقيل : ما أمر الله تعالى رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا فى العلم".(١)

فطالب العلم كلما يتيسر له الوقت في البحث والإطلاع كلما تفتحت أمامه آفاق جديدة من العلم والمعرفة ، كلما زاد فضوله نحو الزيادة فيه ، ويؤكد الإمام على النهم وحب الزيادة في العلم بقوله : " إن نهمة العلم لا تشبعها كثرة ، ونهمة الطعام يشبعها القليل ، لأن الأولى معنوية،والمعاني لا تتخم ، والثانية مادية ، وقليل المادة يتخم ".(٢)

فالعلم كما أوضح الإمام لا نهاية له ، وليس له حدود يقف عندها الإنسان ، فكلما تعمق الإنسان في مختلف العلوم كلما جدت أمامه مجالات أخرى من العلم ، فبرغم اطلاعه

(١) محمد أبو زهرة : زهرة التفاسير ، جـ٩ ، **مرجع سابق** ، ص ٤٧٩٥ ، ٤٧٩٦ .
(٢) _____ : ابن حنبل حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ١١٠ .

وبحثه فإنه لا يشبع نهمته ورغبته في العلم ، والشعور بالحاجة إلى الطعام شيء مادي يمكن إشباعه عن طريق الحصول على كثير من الطعام فهي عملية مادية محسوسة تظهر آثارها على الشخص من خلال شعوره بالشبع ، أما الحاجة إلى العلم فهي شيء معنوي لا يمكن رؤيته أو لمسه ولكنها شيء معنوي تظهر آثاره على الإنسان في شعوره بالراحة النفسية لحصوله على الشبع المعنوي.

وإذا كان الإنسان مطالب بضرورة الزيادة وطلب العلم ، فإن له أن يطلب العلم من أي شخص ومن أي مكان ، فلا يقتصر في طلبه للعلم على شخص معين لأنه من المشهورين بل ينبغي أن يطلبه من أي شخص ، ولا يقف في طلبه على مكان واحد كراهة الرحلة والترحال ، وقد أكد ذلك الإمام بقوله : " العلم يلتمس من كل مكان ، وهو كاللؤلؤة الفائقة لا تهون لهوان غائصها الذي استخرجها ، والمعرفة لا تتقيد بمكان ولا يحتازها حيز ".(١)

فطلب العلم يلتمسه الإنسان ويحصل عليه من أي مكان ، وفي هذا دعوة إلى الرحلة في طلب العلم والتغرب عن الأهل حتى يكون الإنسان كل همه وتفكيره في العلم ، ومن ثم يتمكن من تحقيق أهدافه وغاياته فيما يتعلق بتحصيل العلم والمعرفة .

وإذا كانت قوة الأمم في عصرنا الحاضر تقاس بما لديها من التقدم العلمي لأن هذا التقدم هو أساس كل شيء ، فكان لزاما على الأمة الإسلامية التسلح بالعلم ، حتى تكون الأمة الإسلامية بين الأمم قوية وعزيزة ، تستغني بعلمها وعلمائها عن غيرها من الأمم ويقرر ذلك الإمام قوله : " إنه لابد أن نتسلح بكل ما يتسلح به أعداء الإسلام وهم الآن يتسلحون بالعلم ، والله يقول: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ... ﴾ الأنفال : من الآية ٦٠ قوة هذا العصر العلم ، فهو قبل شجاعة الشجعان ، بل إن شجاعة الشجعان لا

(١) محمد أبو زهرة : الإمام زيد حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٨١ .

تغني شيئا بجواره ".(١)

وعن مسايرة التقدم والتطور التكنولوجي يقول الإمام : " إننا يجب أن نساير ركب العلم ولا نتخلف عنه ، فإن من يتخلف عنه يعيش في ضلالة عمياء ، لا يعرف فيها ما يعوقه وما يحميه ، لقد علم أسلافنا أوربا علم الطب وغيره ، ولا نريد أن نعود معلمين لهم كما ابتدأنا،ولكن نريد أن نسابقهم في الركب ولا نتخلف عنهم،وإنما يذهب ضياعا من يكون وراء القافلة التي تسير ولا يصح أن نرضى بمقام المخلفين عن العلم ، بل نريد السبق إليه،فلهم عقول ولنا عقول".(٢)

وقد قرر الإمام أن السبب في تأخر الأمة الإسلامية عن مسايرة الأمم المتحضرة في تقدمها ونهضتها هو بعدها عن الدين الإسلامي وتعاليمه ، وبعدها عن منهج الله تعالى والإعراض عن كتاب الله تعالى الذي هو أساس كل شيء ومصدره ، حيث يقول : " إن المتعصبين من الأوربيين ، ومن لف لفهم ، ينسبون تخلفنا إلى ديننا

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ الكهف من : ٥

ولو عكسوا لكانوا منصفين، لأننا ما تخلفنا إلا يوم تركنا ديننا ، ولم نتدبر قرآن ربنا وهو الذي يحث على العلم ، ويطلب النظر في الكون "(٣) ، وأصبحنا نعتمد على الآخرين وننقل عنهم كل ما ينتج عنهم من تقدم علمي وتكنولوجي ، وبعد أن كنا مجتهدين أصبحنا مقلدين ، فحق على الأمة الإسلامية العودة إلى كتاب الله تعالى ، وإلى الإيمان والثقة بالله والاعتماد على النفس، والرجوع إلى مبادئ الدين الإسلامي وتعاليمه حتى تكون في مقدمة الأمم ، وحتى يصدق فينا قول المولى عز وجل:

(١)محمد أبو زهرة : الوحدة الإسلامية ، **مرجع سابق** ، ص ٢٨٧ .
(٢) **المرجع السابق** : ص ٢٨٨ .
(٣) **المرجع السابق** : ص ٢٨٨ .

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ آل عمران : ١١٠.

ومن مظاهر الاهتمام بالعلم ، والتأكيد على ضرورة طلب العلم والتسلح به ، العناية بالترجمة لمختلف العلوم والفنون ، وعدم الاقتصار على العربية فقط ، لأن العلم لا نهاية له ولا يحده زمان أو مكان ، وهذا ما أكده الإمام بقوله : " إن تعلم اللغات الحية في البلاد الإسلامية أمر لابد منه ، لأنها لغات العلم الكوني والإنساني ، وهذا العلم في تجدد مستمر وزيادة دائمة ، وقد تغلغلت آثاره في كل المجتمعات الإنسانية، ومما انتهى إليه العلم غرائب لو ذكرت لأهل القرن الماضي لكانت من العجائب المعجزات ، ولا يزال يخطو إلى الإمام والتخلف عنه تخلف عن ركب الإنسانية ".(١)

فإذا كان العلم في تجدد وزيادة بشكل مستمر ، فلابد من ملاحقة هذه الزيادة عن طريق الترجمة من مختلف اللغات إلى العربية ، حتى يمكن الاستفادة من هذه العلوم وحتى لا يكون المجتمع الإسلامي مجتمع منغلق على نفسه ، بل قادر على الاستفادة من خبرات الآخرين ، واختيار ما يتناسب منها مع الدين الإسلامي وتعاليمه ، وقد أكد ذلك الإمام بقوله : " إذا كان العلم بالعربية فرضا كفائيا ، فإننا نحسب أن العلم الكوني فرض كفائي أيضا ، لأنه لا تستغني عنه الجماعات ، ولابد أن يتولى كل إقليم من يتابع الزيادة المستمرة في علم الكون وعلم الإنسان والصناعات ، وما يستخرج من المواد الخام التي أودعها الله باطن الأرض ".(٢)

فقد جعل الإمام تعلم اللغات وعلوم الآخرين فرض كفائي يقوم به البعض وليس الكل، حتى نتمكن من ملاحقة التطور السريع ، والتنامي المستمر في مختلف فروع العلم

(١) **المرجع السابق** : ص ٢٧٨ .
(٢) **المرجع السابق** : ص ٢٧٨ .

والمعرفة ، ولا يقتصر الأمر على العلماء الذين يتخصصون في هذه العلوم ، بل لا بد من الترجمة والنقل حتى تصل إلى الجميع ، وقد قرر ذلك الإمام بقوله : " لا يكفي أن يكون بين المسلمين متخصصون في هذه العلوم ، متتبعون لما يزاد فيها ، وما تكشفه العقول الباحثة بل لابد مع ذلك من أن تترجم هذه العلوم إلى اللغة العربية لتستفيد منها انماء وحيوية ونجده في علمها . ولقد كان الأقدمون من أسلافنا يقومون بنقل العلوم إلى العربية "(١) وفي النقل والترجمة تنمية للتراث العربي ، ومواكبة للتطور العلمي والتقدم التكنولوجي ومعرفة لما وصل إليه الآخرون ، وانفتاح على العالم الخارجي ، والاستفادة من خبراتهم وتجاربهم .

من خلال ما سبق يتضح لنا مدى أهمية العلم ومكانته في حياة الإنسان كما أوضح ذلك الإمام من حيث أنه السبيل والطريق إلى معرفة حقائق الكون وأسراره ،ومعرفة حقيقة نفسه التي بين جنبيه، وتحقيق الحكمة من خلافته على هذه الأرض عن طريق إخلاص العبودية لله سبحانه وتعالى ، والعلم والمعرفة هما سبب نهضة الأمم ورقيها وسبب تطورها وملاحقتها ركب التطور العلمي والتقدم التكنولوجي ، لذلك ينبغي على الأمة الإسلامية العناية بالعلم والعلماء ، والاطلاع على خبرات الآخرين والاستفادة منها ونقلها وترجمتها ، حتى تكون الأمة الإسلامية في مقدمة الأمم المتحضرة وتطبيقاً لأوامر دينها فى ذات الوقت.

ثانياً : المتعلم :

المتعلم هو محور العملية التعليمية ، وهو الأساس الذي تقوم من أجله هذه العملية ، فبدون المتعلم لا تتم هذه العملية ، فهو العنصر الرئيسي الذي من أجله يتم الاهتمام ببقية عناصر العملية التعليمية ، من إعداد للمعلمين وتدريبهم بما يؤهلهم لمساعدة هؤلاء المتعلمين ،

(١) **المرجع السابق** : ص ٢٧٩ .

أو الاهتمام بإعداد المناهج والمواد الدراسية بحيث تتلاءم مع طبيعة وميول وحاجات وقدرات هؤلاء المتعلمين ، واختيار أنسب الطرق والوسائل والأساليب التي تسهم في شرح وتوضيح هذه المناهج والمواد بحيث تتحقق الأهداف المرجوة منها .

إن الاهتمام بجميع هذه العناصر والعناية بها إنما هو بغرض تنشئة هؤلاء المتعلمين وتربيتهم بما يحقق لهم نموا متكاملا في مختلف جوانب النمو ، ولا يتم ذلك إلا في ظل وجود هؤلاء المتعلمين ، ولكي تتحقق هذه الأهداف لابد من توافر مجموعة من الصفات والمقومات لدى هؤلاء المتعلمين تمكنهم من القدرة على مواصلة تعليمهم ، وتسهم في تحقيق أهداف العملية التعليمية ، وفي الصفحات التالية سوف يتم عرض لبعض هذه الصفات الواجب توافرها لدى هؤلاء المتعلمين ، والتي سوف يتم استخلاصها من خلال كتابات ومؤلفات الإمام وهي كالآتي :

١- الصفات الجسمية (صحة الجسم وقوته) :

يقول الإمام : " إن سمات الرجال الخلقية والعقلية ينبئ عنها أو تومئ إليها صفاتهم الجسمية، فأولئك الشواذ في تكوينهم النفسي أو العقلي يبدو شذوذهم في أجسامهم بضمور واضح مثلا في عضلات الوجه ، أو اعوجاج في بعض أجزاء الجسم ، أو اضطراب في عيونهم وانحراف في بعض الملامح ، وإن ذلك يتضح كاملا لأهل العلم بالأعصاب والنفوس والمتتبعين للمرضى من الشواذ ".(١)

حيث يذكر الإمام أن الشخص يمكن معرفته والحكم عليه والكشف عن صفاته العقلية والخلقية من خلال تكوينه الجسمي فالشخص الذي يعاني من بعض العيوب في تكوينه الجسمي في أي عضو من أعضائه يكون لذلك أثره في حالته النفسية والعقلية

(١) محمد أبو زهرة : خاتم النبيين ، جـ ١ ، **مرجع سابق** ، ص ٢٣٤ .

ويجعل الشخص في حالة من العزلة والانفراد عن الآخرين ، وهذا ما تؤكده معظم الكتابات في الصحة النفسية : " ترتبط الصحة النفسية بالصحة الجسمية ، فلا غنى للنفس عن صحة الجسم، ولا غني للجسم عن صحة النفس ، فقد يؤدى قصور بعض أعضاء الجسم أو خلل فى وظائفها إلى تغير فى شخصية الطفل واضطراب سلوكه وظهور بعض المشكلات السلوكية عند الأطفال".(١)

أما الشخص السليم الذي لا يعاني من العيوب الجسمانية ، فإنه يكون متزن في حالته العقلية والمزاجية ، متوافق مع نفسه ومع الآخرين ، لديه قدرة على القيام بما كلف به من أدوار وواجبات ، وهذا ما أكده الإمام بقوله : " إن اعتدال الجسم و تناسب أجزائه يدل في الجملة على استقامة العقول والنفوس ، وإن المزاج النفسي يصحبه غالبا مزاج جسمي كامل ، متناسق في تركيبه الظاهر والداخل ، فالعناصر المؤثرة كلها متناسقة منسجمة انسجاما لا شذوذ فيه ، ويكون معه انسجام نفسي كامل ، وعقل كامل، وخلق كامل ".(٢)

ولا يعني هذا أن الأشخاص الذين يعانون من العيوب الجسمية ينبغي عزلهم عن الآخرين، وعدم الاهتمام بهم ، ولكن من الضروري مراعاة هؤلاء الأشخاص المعاقين ، وزيادة العناية بهم أكثر من غيرهم ، ومراعاة ظروف إعاقتهم الجسمية .

ونمو الفرد يتأثر بنوعية الغذاء وكميته باعتبار أنه المصدر الأساسي الذي عن طريقه يستمد الجسم كل ما يحتاج إليه من طاقه تمكنه من القيام بمختلف نشاطاته ، لأن شعور الإنسان بالجوع يجعل الإنسان في حالة ضعف ، وقلة تركيز ، وعدم القدرة على

(١) محمد عوده ، وكمال إبراهيم يوسف : **الصحة النفسية فى الإسلام وعلم النفس** ، الكويت ، دار القلم، ١٩٨٤م ، ص ص ٧ ، ٢٥٣ .
(٢) محمد أبو زهرة : خاتم النبيين ، جـ١ ، **مرجع سابق** ، ص ٢٣٤ .

الاحتمال ، وشعور بالملل والضيق ، بخلاف الشخص الذي لا يشعر بالجوع يكون حاضر البديهة ، قوي التركيز ، سريع الفهم ، لديه القدرة والصبر في طلب العلم، وهذا ما قرره الإمام بقوله: " الجسم الذي لا يستوفي كل عناصر التغذية ، ويستمد كل أسباب الحياة والنمو من غير إفراط ولا تفريط ، لا تكون الأعصاب سليمة ، ولا كل عناصر التفكير قويمة بل يكون مضطرب النفس ، مضطرب الفكر ، وكثيرا ما يكون سوء التفكير من سوء التغذية ، ونقص الإدراك من نقص الطعام ، وإذا كانت المعدة إذا اكتظت أضرت ، فكذلك إذا خلت أخلت ببنيان الجسم والعقل معا "(١) ، لذلك كان من الضروري العناية بالطعام ،والعمل على استيفاء المتعلم لكل عناصر التغذية حتى تؤتي العملية التعليمية ثمارها وحتى لا يكون عمل المعلم من غير فائدة .

كذلك قوة الجسم تؤدي إلى قوة الإرادة ، والقدرة على الاحتمال وتحمل المشاق في سبيل تحقيق الأهداف : " فكثيراً ما يكون ضعف الإرادة من ضعف الجسم ، وضعف التدبير من تخاذل القوى البدنية عن الاحتمال ، ولكن قد تكون الإرادة القوية والعزيمة الماضية في جسم ضعيف ، وفي هذه الحال قد يستغني عن ذلك العنصر ، إن لم يوجد شخص تتوافر فيه قوة النفس وقوة الجسم معا ، فالاعتبار الأول لقوة النفس وقوة الجسم خادمة لقوة النفس وليست مقصودة لذاتها".(٢)

فقوة الجسم من العناصر الأساسية التي تؤدي إلى قوة الإرادة ، وليست هي الأساس في هذه القوة، بل هي من العناصر المكملة لهذه القوة ، لذلك ينبغي مراعاة الصحة الجسمية من خلال استيفاء كل عناصر التغذية حتى تتحقق الأهداف المرجوة .

---

(١) محمد أبوزهرة : مالك حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٥٣ .
(٢) _____ : زهرة التفاسير ، جـ ٢ ، **مرجع سابق** ، ص ٩٠٩ .

٢- الإخلاص في طلب العلم :

الإخلاص مبدأ من مبادئ الإسلام ، وأساس من أسس الإيمان ، لا يقبل الله العمل إلا به ، حيث قال المولى عز وجل:

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ البينة : ٥

فيجب على الفرد الإخلاص في القول والعمل حتى يكون مقبولاً من الله سبحانه وتعالى .

وعن حقيقة الإخلاص يقول الإمام : " الإخلاص نور يشرق في النفس فتضيء وهو الاتجاه إلى الله ، وتخليص نفسه لله ، وهو أعلى درجات الإيمان ، ولذلك قال النبي ﷺ (لا يؤمن أحدكم حتى يحب الشيء لا يحبه إلا لله) ، وإن المؤمن إذا اتجه إلى طلب الحق اتجاها مستقيماً لا عوج فيه قذف الله فى قلبه بنور الحكمة ، فسلِم إدراكه ، وأشرق عقله واستقامت مداركه ، ولا شيء يُنير القلب كالإخلاص " (١) ، فعلى الإنسان الإخلاص ومراقبة الله في كل ما يصدر عنه من قول أو فعل أو تقرير، وقد اعتبر الإمام الإنسان المخلص في أعلى الدرجات ، وفي أرفع مراتب الإيمان ، بحيث لا يحب الشيء إلا لله .

وإذا كان الإخلاص ضروري في كل ما يصدر عن الإنسان ، فإن الإخلاص في طلب العلم أمر لا بد منه ، بحيث يكون طالب العلم نيته مخلصة ، وقاصدا به وجه الله تعالى ، لا لهدف آخر دنيوي من سلطة أو سلطان أو جاه أو مال أو شهرة أو رياء ، بهذا الإخلاص يتمكن طالب العلم من الوصول إلى الحقيقة ، كما أكد ذلك الإمام بقوله: " والإخلاص في طلب الحقيقة ينقي النفس من أدران الغرض ، فتستنير البصيرة ، ويستقيم الإدراك ويشرق

(١) محمد أبوزهرة : الإمام زيد حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٧٥ .

القلب بنور المعرفة ، وهداية الحق ".(١)

فالإمام يؤكد على ضرورة الإخلاص في طلب العلم والمعرفة ، بحيث يترتب عليه تنقية الإنسان من أدران الغرض وبذلك يكون طلب العلم خالصا لوجه الله تعالى ، مما يؤدي إلى إشراق وصفاء في النفس ، وهذا بدوره يؤدي إلى سلامة الإدراك واستقامة الفكر وإشراق القلب ، والهداية إلى الحق بتوفيق الله تعالى .

وعن حقيقة الإخلاص في طلب العلم يقول الإمام : " الإخلاص لله سبحانه وتعالى هو أنه يحب الشيء لا يحبه إلا لله ، فلا يطلب العلم لمراء أو جدال ، أو لاجتياز مجالس، أو لجاه عند ذي سلطان ، ومن ارتقى بعلمه إلى هذه الرتبة لا تعلق به غواشي الإمتراء ومعوقات الهوى ، بل يتجه إلى الحقيقة اتجاها مستقيما لا عوج فيه ، ومن اتجه إلى طلب الحقيقة مستقيما وصل إليها بنور الله ونطق بالحكمة لهداية الله ، ووصل إلى الغاية من أقرب طريق وأهدى سبيل ".(٢)

وإذا كان الإخلاص يُمكِّن صاحبه من الوصول إلى الحقيقة بشكل مستقيم ، فإن الإخلاص يساعد صاحبه على الصبر، وطول الأمد ، وقوة الاحتمال في طلب الحقيقة،وهذا ما ذكره الإمام بقوله : " إن الإخلاص في طلب الحقيقة يجعل صاحبها يلتمسها أنَّى وجدها فلا يتعصب ولا ينحرف "(٣) ، فإذا كان الإخلاص ضروري ولازم في كل قول أو عمل ، فإن الإخلاص ضروري وعلى قدر من الأهمية لدى طالب العلم والمعرفة .

٢- الصبر وقوة الاحتمال :

عن معنى الصبر يقول الإمام : " الصبر مجموعة من السجايا الكريمة أساسها قوة

(١) محمد أبو زهرة : ابن حنبل حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ١٠٣ .
(٢) **المرجع السابق** : ص ١٠٣ .
(٣) محمد أبو زهرة : الإمام زيد حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٤٦٩ .

الإرادة، وصدق العزيمة ، وبعد الهمة مهما يتعب الجسم في سبيل ذلك "[١] ، فالصبر مجموعة من الصفات والأخلاق الحسنة التي يتصف بها الإنسان ، وترجع في حقيقتها إلى قوة الإيمان ، وقوة الإرادة والاحتمال عند الإنسان ، لأنه يعلم تمام العلم أن الأمر كله بيد الله وأن ما يصيب الإنسان إنما هو بقدرة الله وإرادته .

وإذا كان الصبر من الصفات التي ينبغي أن يتصف بها المعلم حتى يتمكن من آداء عمله، فإن الصبر من جانب المتعلم أمر لابد منه في طلب العلم وتحصيله ، لأن طلب العلم له كثير من المشاق والمصاعب التي تواجه المتعلم ، والتي ينبغي الصبر عليها ، والقدرة على مواجهتها .

وعن حقيقة الصبر يتحدث الإمام فيقول : " الصبر عدة المجاهدين ، والصبر والجزع نقيضان لا يجتمعان ، والصبر والفزع ضدان لا يلتقيان ، وإن الشجاعة من غير صبر تهور واندفاع ، والتهور والشجاعة حقيقتان مختلفتان ، وإن الصبر في حقيقته يتضمن تحمل الشدائد ويقتضي ضبط النفس ، وعدم الاندفاع إلى ما يُرضي ".[٢]

فالإمام يوضح أن الصبر هو الدرع الواقي الذي يجب أن يحتمي به الإنسان في وقت المحن والشدائد ، والجزع والفزع نقيضان للصبر فلا يجتمعان في إنسان ، ويؤكد الإمام على ضرورة ملازمة الصبر للشجاعة حتى لا يكون الإنسان متهوراً لا يقدر العواقب لأن في الصبر ضبط للنفس وحسن تصرف ، والمتعلم في تعلمه لابد أن يكون صبورا وقوى الاحتمال في كل المواقف .

وعلى المعلم ضرورة تعويد طلابه وتدريبهم على الصبر وتحمل المشاق والشدائد ، لأن

(١)محمد أبو زهرة : ابن حنبل حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٩٢ .
(٢) _____ : الإمام زيد حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٧٨ .

في ذلك تقوية لإرادتهم وعزيمتهم ، وتدريب لهم على حسن تصرفهم في كل ما يعترضهم وما يعوقهم في تحقيق أهدافهم ، وهذا ما ذكره الإمام بقوله : " ومن شأن التربية على الصبر، أن يكون الناشئ قوي الإرادة مرهف العزيمة ، يحتمل الشدائد والمكاره من غير أنين ولا ضجر ".(١)

فالمتعلم في تحصيل العلم يواجه العديد من الصعوبات والمشكلات التي تتطلب منه ضرورة الصبر وقوة الاحتمال حتى يتسنى له القدرة على مواجهتها وحلها بشكل علمي سليم كذلك ينبغي على المتعلم ضرورة الالتزام بما يقوله المعلم، لأن في ذلك مصلحة له وخير مثال على ذلك ما وقع بين سيدنا موسى والخضر عليهما السلام من آداب الصحبة والاتباع ، ففي قوله تعالى:

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ الكهف : ٦٩

يقول الإمام : " من آداب المتعلم أمام المعلم ، والتابع للمتبوع لا يبادره حتى يبين هو ما عنده ، وذلك أدب الاتباع ، فالاتباع يقتضي الطاعة ، والصحبة تقتضي عدم المنافرة والمخالفة " (٢) ، لذلك كان من الضروري تربية المتعلمين على الصبر وتعويدهم قوة الاحتمال .

٤-انصرافه للعلم " التفرغ للعلم " :

ينبغي على طالب العلم ضرورة التفرغ التام في طلبه للعلم فلا يشغله أي أمر عن ذلك حتى لا ينصرف ذهنه وتفكيره عن العلم وتحصيله ، وقد قرر ذلك الإمام بقوله : " قد يتهيأ لطالب العلم مدرسة علمية توجهه ، وإطلاع حسن يغذيه ، وتواتيه مذاهب ومدارك

(١) **المرجع السابق :** ص ٩٣ .
(٢) محمد أبو زهرة : زهرة التفاسير ، جـ ٩ ، **مرجع سابق** ، ص ٤٥٦١ .

obeikandl.com

تتقبل ما يتلقاه وتنميه، ولكن بعد هذه الاستعدادات ، وتلك الوسائل الموصلة تشغله الحياة المادية أو المناصب أو الرياسة عن استغلال هذه الأدوات ، فلا يكون عالما بين العلماء ، لأن شاغل الحياة أو المنصب أو الرياسة أخذت جزءاً من نشاطه،وحيزا من مواهبه،أو جعلت العلم في المرتبة الثانية من نفسه".(١)

فالإمام يؤكد على ضرورة انصراف المتعلم بكليته ، وبكل ما يتوافر له من قدرات وإمكانات ومواهب واستعدادات في طلب العلم ، فلا ينشغل عن العلم بأمور الدنيا من مال أو منصب أو جاه ، لأن ذلك يؤثر على قدراته ومواهبه ، بحيث تتوزع بين هذه الأمور ، ومن ثم لا يتوافر لطلب العلم الوقت الكافي الذي يتطلبه في الدرس والتحصيل والمذاكرة ، وبمرور الوقت يهمل الطالب في مدارسة العلم وينشغل بأمور الدنيا .

فعلى المتعلم ضرورة الانصراف التام للعلم ، والمداومة عليه في كل وقت لأن العلم يحتاج إلى دراسة واطلاع بشكل مستمر ، ويحتاج إلى صبر وقوة احتمال من المتعلم ، والتفرغ من جانب المتعلم يمكنه من تنظيم أوقاته وحسن استغلالها ، والاطلاع على أكبر قدر من المعارف والمعلومات نظرا لأن : " العلم لا ينتج ولا يثمر إلا بالتفرغ والانصراف ، فهو لا يقبل شريكا له في النفس ".(٢)

لأن الشريك يشغله عن طلب العلم ، ويأخذ معظم وقته ،ويكون موزع التركيز والانتباه بين هذه الأمور ، فلا يتمكن من التركيز في علمه ودراسته ، وقد أكد ذلك الإمام بقوله : " للانصراف إلى العلم من ذي المواهب الذي تلقى على العلماء الأثر الأكبر في تكوين علمه، والوصول فيه إلى أبعد الغايات ، فإن العلم لا يعمر قلبا لم ينصرف إليه ، ويعرض عما

(١) محمد أبوزهرة: ابن تيمية حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٩٨ .
(٢) _____: ابن حزم حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٨٨ .

obeikandl.com

سواه ، وهو يحتاج إلى عكوف كما يعكف العابد على العبادة ".(١)

٥- الاعتزاز بالنفس :

الاعتزاز بالنفس صفة تجعل المتعلم دائما يشعر بأنه قادر على مواجهة ما يعترضه من مشكلات حيث يتمكن من إيجاد الحلول المناسبة لهذه المواقف والمشكلات ، مادام يعتمد على الله ، ويتوكل عليه ، القائل في محكم التنزيل

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ الطلاق:من الآية ٣

فالثقة والاعتزاز بالنفس ترجع إلى إيمان الشخص الكامل وقوة عقيدته ، وحسن الاعتماد على الله ، والتوكل عليه ، فهذه كلها أمور تنمي في الشخص اعتزازه بنفسه وشخصيته بجانب مجموعة أخرى من الأمور استخلصها الإمام من حياة الإمام (ابن حزم) حيث يقول : " وإن الذي نمى فيه اعتزازه بنفسه ثلاثة أمور أولها : ابتعاده عن السياسة ونحوها ، وحبس مطامعها ، وما كان المطمع في أي ناحية إلا كان معه ذل أيا كانت صورته ، وقديما قال العربي (أذلت المطامع أعناق الرجال) ، فمن يوم أن جافى محمد ابن حزم السياسة ومطامعها ، وترك كل شيء إلا العلم فقد آوى إلى ركن العزة الحصين ".(٢)

حيث يقرر الإمام أن البعد عن السياسة والمناصب وحب السلطة والتوجه إلى طلب العلم بغرض العلم والمعرفة ، يجعل الإنسان يشعر بنوع من الثقة والاعتزاز بالنفس لأن من يسعون وراء هذه الأمور من سلطة وجاه ومال يقدمون الكثير من التنازلات ويتذللون لمن يملكون هذه المصالح ، فعلى طالب العلم البعد عن السياسية والمناصب وكل ما يشغله عن طلب العلم .

(١) محمد أبو زهرة : الإمام الصادق حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٩٣.
(٢) _____ : ابن حزم حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٧٩ .

الأمر الثاني الذي ينمي الاعتزاز كما يقرر الإمام :" ما آتاه الله من مواهب عقلية يشعر معها بأنه فوق أقرانه من العلماء وفوق الأمراء ".(١)

فعلى طالب العلم أن يهتم بما منحه الله من مواهب وقدرات عقلية واستعدادات تؤهله وتمكنه من دراسة العلم والاستفادة منه ، والعمل على تنميتها وحسن استخدامها وإدراك مدى أهميتها والحاجة إليها في تحصيل العلم والمعرفة ، وفي إدراك المتعلم لتلك المواهب والقدرات شعور بالعزة والافتخار.

الأمر الثالث الذي ينمي الاعتزاز بالنفس كما يقرر الإمام : " يسار العيش الذي منَّ الله به عليه ، فلم يجعله في حاجة إلى عطاء أمير أو وزير ، فاستغنى عن الناس ، واعتز بالله وإنه لا يذل الكريم إلا الحاجة وقد أغناه الله عنها ".(٢)

حيث يؤكد الإمام على ضرورة توفير كافة احتياجات طالب العلم من المال والملبس والمسكن حتى يستغني عن الناس ، ولا يشعر بنوع من المهانة والاحتقار ، ومن شأن هذا أن ينمي فيه روح الثقة والاعتزاز بالنفس والثقة بالله .

وعلى المعلم دور كبير في تنمية هذا الشعور لدى المتعلمين عن طريق القدوة الحسنة من جانب المعلم ، ومعاملة جميع الطلاب معاملة واحدة تقوم على الاحترام والمودة وحسن المعاملة نظراً لأن هؤلاء المعلمين : " هم الذين يضعون يده على ينابيع العلم ويوردونه موارده ويهدونه إلى مواطن الخصب والخير ".(٣)

هذه هي بعض الصفات والمقومات التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم كما قررها الإمام من خلال مؤلفاته ، نظرا لأن المتعلم هو الأساس الذي وجد من أجله النظام

---

(١) **المرجع السابق :** ص ٧٩.
(٢) **المرجع السابق** : ص ٧٩ .
(٣) محمد أبو زهرة : الإمام زيد حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٧٢ .

obeikandl.com

التعليمي بكل مكوناته وأهدافه وعناصره ، وعلى المعلم ضرورة التعرف على صفات المتعلمين وخصائصهم ، حتى يتمكن من معرفة نواحي القوة والقصور في هذه الصفات ومن ثم يمكن تنمية نواحي القوة ، وعلاج نواحي القصور ، حتى يمكن تنشئة جيل من الشباب يتحلى بالصفات الكريمة، ويتمسك بالأخلاق الفاضلة ، نافعين لأنفسهم ولمجتمعاتهم .

ثالثاً : المعلم :

لم يعد الحديث عن المعلم ودوره في العملية التعليمية مجرد كلام فقط ، بل إن المعلم عنصر أساسي من عناصر العملية التعليمية ، ومحور هام من أبرز محاورها ، برغم التقدم العلمي ، وتطوير أساليب ووسائل التعليم ، في ظل هذه الأمور فإن المتعلم في حاجة ماسة إلى من يوجهه ويرشده ، إلى أفضل الطرق التي تمكنه من تحصيل العلم والمعرفة .

فالمعلم هو الذي يقوم بتزويد المتعلمين بكثير من المعارف والمعلومات ، كما يهتم بتربيتهم وتنشئتهم على الأخلاق الفاضلة ، وهو الذي يقوم بالإعداد والتخطيط للعملية التعليمية ، وتوظيف كافة الوسائل والأجهزة التعليمية وشرح وتبسيط محتوى الكتاب المدرسي ، وفي ظل إدراك أهمية المعلم ومكانته ودوره في العملية التعليمية زاد الاهتمام بالمعلم وإعداده ، وركزت العديد من الدراسات على برامج إعداد المعلمين وتطويرها حتى تتلاءم مع التطور العلمي السريع، وحتى تواكب ذلك الانفجار المعرفي .

ولا تقتصر عملية الاهتمام بالمعلم على برامج إعداده وتدريبه فقط بل إنه برزت في الآونة الأخيرة اتجاهات ترى أنه يجب أن تتوافر في المعلم صفات وكفاءات محددة ، .. " نظراً لخطورة الدور الذي يلعبه المعلم فى المدرسة والمجتمع ، فإنه لابد من توافر مجموعة من الخصائص التى تؤهله للقيام بالدور المنوط به ، والذى أسنده إليه المجتمع ، فالمعلم ناقل

للمعرفة، وهو إنسان يشجع ويعاون الآخرين ، وهو قائد يهتم بالسلوك ويحترم القيم ".(١)

والإمام يؤكد على ضرورة أن تتوافر مجموعة من الصفات فيمن يقومون على إصلاح الجماهير، وعن حقيقة هذه الصفات هل هي فطرية يولد الإنسان مزودا بها ، أم هي مكتسبة من خلال التربية والمران يقول الإمام " وهذه الصفات بعضها هبات من الله تعالى القدير يهبها لمن يشاء من خلقه ، وبعضها صفات تكتسب بالمران والتربية والنشأة والتوجيه والنزوع إليها ".(٢)

وفي الصفحات التالية عرض لبعض هذه الصفات من خلال مؤلفات الإمام وكتاباته وهي كالآتي :

١- الإخلاص في العمل :

الإخلاص في القول والعمل من الصفات الأساسية التي ينبغي أن يتحلى بها كل إنسان في جميع أفعاله وأقواله وتصرفاته حتى يتمكن من تحقيق أهدافه ، والإخلاص نعمة من النعم التي يُمَنُّ بها على الإنسان .

يقول الإمام عن نعمة الإخلاص : " إن نعم الله تعالى على عباده لا يحصيها العد ولا يحيط بها الحصر ، ومن النعم أن يحس بإشراق النفس وإخلاص القلب ، والاتجاه إلى الله تعالى ، وأن يكون مستقيم الفكر، نير المدارك ، ولا يضل ، بل يهتدي بما أنعم ، ومن النعم نعمة الإخلاص في القول والصدق فيه ، وأن يعمل العمل لا يعمله إلا لله ، وأن يراقب الله في سره وفي جهره وفي عمله ".(٣)

ومعنى هذا أن الإخلاص أساسي وضروري في كل قول يصدر عن الإنسان ، وفي كل

(١) السيد محمد عبدالمجيد عبدالعال : خصائص المعلم الناجح وعلاقتها بالدافع للإنجاز لدى طلاب المرحلة الثانوية بسلطنةعمان ، **مجلة كلية التربية** ، جامعة المنصورة ، العدد الرابع والثلاثين ، مايو ١٩٩٧ ، ص٦٣ .
(٢) محمد أبو زهرة : ابن حنبل حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٩٠ .
(٣) محمد أبوزهرة : زهرة التفاسير ، جـ١ ، **مرجع سابق** ، ص ٧٠ .

obeikandl.com

عمل يقوم به الإنسان سواء في السر أو العلن ، فالإخلاص كما ذكر الإمام : " نور يشرق في النفس فتضئ، وهو الاتجاه وتخليص نفسه لله ، وهو أعلى درجات الإيمان ".(١)

والإخلاص في طلب الحقيقة يجعل الفرد يتجه إلى الطريق المستقيم الذي لا انحراف فيه عن الصواب ، فيتجه إليه بفكره وعقله وكل جوارحه ، وهذا ما أكده الإمام بقوله: " والإخلاص يقذف في قلب المخلص بنور الحقيقة ، ويجعله يدرك الأمور إدراكا مستقيما لا عوج فيه ، ولا شيء يضلل العقل ويجعله يعوج عن طريق الهداية أكثر من الغرض والهوى والتواء المقاصد فإن ذلك يجعل العقل يلتوي فلا يدرك ، ويجعل الفكر مدرنا فلا ينفذ إلى الحقيقة ، وفي الحكمة الشرقية أن الاتجاه المستقيم المخلص يجعل الفكر مستقيما ، والعمل مستقيما ، والقول مستقيما ".(٢)

إذا كان الإخلاص مطلب ضروري لكل إنسان فيما يقوم به أو يصدر عنه فإن المعلم في إخلاصه في عمله هو أكبر وسيلة لنجاحه في مهنته وفي آداء رسالته ، حيث يكون سليم العقل والفكر متجه إلى الحقيقة ومراقبا الله في تلاميذه .

والناس جميعا متفاوتون في الإخلاص ، وهذا ما أكده الإمام بقوله : " وهناك نوع من الإخلاص يخص الله به صفوة عبادة الذين يكونون أسوة للناس ، وهو الفناء في الفكرة التي اختص بها المؤمن ، وطالب بها ودعا إليها ، بأن يذعن للحق أيا كان قائله من الناس فإن اللؤلؤة الفائقة لا تهون لهوان غائصها الذي استخرجها ، يخضع للعدو وللولي على سواء ما دام الحق في جانبه ، والإخلاص بهذا الشكل مرتقى صعب ، ومطلب عزيز ، فإن الذين يحاولون بالبيان ، وينازلون بالحجة ، يندر فيهم من لم يدخله زهو ويناله حب علو ".(٣)

---

(١) محمد أبو زهرة : الإمام زيد حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٧٥ .
(٢) _____ : ابن تيمية حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٨٣ .
(٣) _____ : تاريخ المذاهب الإسلامية ، **مرجع سابق** ، ص ٤٥٦ .

هذا النوع من الإخلاص جعله الإمام مقصورا على من يتصدون لقيادة الناس في أي جانب من جوانب الحياة مثل الأئمة ورجال السياسة والمعلمين ، فكلما كان الفرد لديه هدف محدد يسعى إلى تحقيقه مستخدما كل الوسائل والمعينات كلما ارتقى إلى درجة عالية من الإخلاص .

والإخلاص في القول والعمل يعود على صاحبه بكثير من الفوائد منها ما ذكره الإمام بقوله : " ولقد أكسبه الإخلاص ذكاء قلب ، وقوة نفس ، وتباعدا عن الدنايا وتساميا عما لا يليق بالرجل الكامل ، وإن الإخلاص في طلب الحقائق يقربها لطالبها فيأخذها أنى وجدها ، ولا يتعصب ولا يفرض أن قوله صواب بإطلاق ، بل يفرض الخطأ في اجتهاد غيره ، والأئمة الأعلام يقولون (قولنا صواب يحتمل الخطأ ، وقول غيرنا خطأ يحتمل الصواب)"[(١)] ، وإذا كان الإخلاص كذلك ، وهذا ما يترتب عليه فإنه ضروري للمعلم التحلي به حتى يتحقق له النجاح في مهنته .

٢- الهيبة الشخصية والنفوذ :

الهيبة الشخصية صفة وعطية يختص المولى بها عز وجل بعض خلقه ، وعن حقيقتها يقول الإمام: " الهيبة الشخصية منحه من الله تعالى يمنحها لبعض خلقه فيكون في الشخص قوة روح ، وقوة شخص ، تنبعث منه قدرة على التأثير في نفوس سامعيه ويكون لكلامه روعة ، ولنظراته نفاذ إلى النفس ، وقد يفقد الشخص حريته بين يديه من غير سلطان قاهر ، ولا قوة مادية مجبرة ملزمة ، بل الإلزام ينبعث من النفس"[(٢)] ، فالهيبة منحة وعطية من الله ، وهي ليست قوة جسمية فقط ، ولكنها قوة روحية ، وقوة شخصية تجعل الفرد لديه قدرة على التأثير في الآخرين سواء من خلال حديثه أو من خلال نظراته .

---

(١) **المرجع السابق** : ص ص ٣٢٨ ، ٤٥٦ .
(٢) محمد أبو زهرة : ابن تيمية حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٩١ .

يذكر الإمام أن الهيبة لها أسباب عديدة فيقول : " من أسباب المهابة البسطة في العلم والجسم ، والبسطة في العلم معناها الاتساع في الأفق والتجارب ، وقوة العقل والتدبير والإحكام في التفكير، فالبسطة معناها الاتساع وإذا أضيفت إلى العلم فمعناها الاتساع والإحاطة بكل ما يوجه العقل إلى التفكير المستقيم مع سلامة العقل نفسه ، وبسطة الجسم اتساعه ، لا بمعنى كثرة اللحم والشحم ، بل يكون سبط العظام ، مديد القامة ، بعيد ما بين المنكبين ".(١)

فالهيبة بجانب أنها منحة من الله تعالى ، إلا أن لها بعض الأسباب التي تجعل الشخص أكثر هيبة في نظر الآخرين وهي سعة علمه وإطلاعه لأن في ذلك سعة في الأفق والمدارك ، وقدرة على الحديث في كل الموضوعات وفي مختلف المواقف والظروف ، كما يكون لدى الشخص قدرة على فهم الآخرين والنفاذ إلى شخصيتهم ، فيكون بذلك أكثر مهابة في نظرهم.

ولا تقف أسباب المهابة عند سعة العلم فقط بل إن : " حسن السمعة وبعد الصيت وجميل الذكر ، تجعل لصاحبها روعة وهيبة في نفوس الناس ، فإن ألسنة الخلق بالثناء تلقى مهابة صاحب الثناء في النفس ، وخصوصا إذا كان أهلا لذلك ، وله في نفسه جلال وتقى ".(٢)

وبجانب سعة العلم ، وحسن السمعة ، فإن القوة في الجسم تلقى في نفوس الآخرين المهابة، فقوة الجسم أحد أسباب المهابة ، ولا يعني هذا أنها الأساس في المهابة ، فهناك أشخاص قليلي الحجم ، صغيري البنيان ويكونون أكثر مهابة من غيرهم نظرا لتوافر كل

(١)محمد أبوزهرة: زهرة التفاسير ، جـ٢ ، **مرجع سابق** ، ص ٨٩٢ .
(٢)_____ : ابن حنبل حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ١٠٣ .

أسباب المهابة فيهم ، وقوة الجسم من الأسباب المكملة ، والمعلم باعتباره أحد قادة الفكر فهو من أشد الناس حاجة إلى تلك المهابة الشخصية حتى يكون أكثر تأثيرا في نفوس تلاميذه سواء من خلال أقواله أو أفعاله أو نظراته ، والهيبة الشخصية يترتب عليها نوع من النفوذ والسيطرة بحيث يجعل صاحبه قادر على التأثير والتحكم فيمن يتحدث إليهم وتوجيههم كيفما يشاء ، والنفوذ كما ذكر الإمام نوعان : فطري وكسبي، ويتحدث عنهم فيقول : " إن النفوذ يجعل صاحبه متحكما في أهواء ومشاعر من يخاطبه ، والنفوذ نوعان : نفوذ شخصي طبعي ، ونفوذ كسبي ، والأول يكون هبة يهبها الله لأشخاص فيؤثرون بأنفسهم من غير أي أمر خارجي يعرض لهم ".(١)

حيث أن الشخص حين يتكلم ينصت له كل الحاضرين ، وحين يأمر يطاع نظرا لما وهبه الله من قوة النفوذ ، والتأثير في الآخرين والقدرة على النفاذ إلى قلوبهم ، والمعلم أحوج ما يكون في عمله وتفاعله مع التلاميذ إلى هذه الصفة حتى يكون له الأثر الأكبر فيهم وفي توجيههم إلى الصواب ، هذا النوع من النفوذ منحة من الله لبعض خلقه ، وأما النوع الآخر من النفوذ فقد ذكره الإمام بقوله : " والنفوذ الكسبي ما جاء من سمعة حسنة ، أو ثروة في بعض الأحيان أو منصب أو لقب أو تحل بوسام أو اشتهار بنبل ، والنفوذ الشخصي الطبعي أقوى عملا ، وأشد تأثيرا لمن آتاه الله ذلك النفوذ ، ملك من النفوس والمشاعر والأهواء ما يجعله يقول فيطاع من غير أي اعتراض، بل من غير تفكير فيه ، يتأثر بقوله أشد الناس بغضا له ".(٢)

وإذا توافرت في المعلم هذه الصفات كان أكبر أثرا وتأثيرا في نفوس المتعلمين وكان

(١) محمد أبو زهرة : الخطابة أصولها تاريخها فى أزهر عصورها عند العرب ، **مرجع سابق** ، ص ٥٨ .
(٢) **المرجع السابق** : ص ٥٩ .

أكثر مهابة في نظرهم ، ومما يؤثر في مهابة الشخص ويترتب عليه ذهابها ما ذكر الإمام بقوله: " لا يذهب المهابة أكثر من لغط القول وكثرة الكلام التي تدفع إلى السقط ، وكل سقطة في القول تذهب بشطر المهابة ، وتقربه من الابتذال ".(١)

لذلك كان من الضروري عند اختيار المعلمين وإعدادهم مراعاة توافر هذه الصفات فيهم من سعة في المدارك ، وكثرة في العلم ، وقوة في الذاكرة ، وإخلاص في العمل، وقلة في القول وصدق فيه وحسن سمعه ، وحسن مظهر ، كل هذه الصفات وغيرها تجعل المعلم أكثر هيبة ورهبة في نفوس تلاميذه ومن ثم يكون أكثر تأثيرا فيهم وتوجيها لهم .

٢- قوة الفراسة :

الفراسة صفة من ألزم الصفات التي ينبغي أن تتوافر في كل من يتصدون للقيادة الفكرية أو قيادة الآخرين بصفة عامة ، حتى يكونوا أكثر أثرا فيهم ، وهذا ما ذكره الإمام بقوله : " إن أولئك الذين يتصدون للقيادة الفكرية أو السياسية أو الاجتماعية لابد أن تكون لهم فراسة قوية تدرك الأمور على وجهها ، وقد تأتي المقادير بغير ما يقدرون ولا ينقص ذلك من قوة إدراكهم ، ويقظة إحساسهم ، وقد تضطرهم الأحوال لأن يتركوا تقديرهم ".(٢)

والمعلم هو أحد الأشخاص الذين يقومون على أمر هذه القيادة من خلال تربية وإعداد جيل من الشباب ، فالمعلم الذي يتصف بقوة الفراسة يكون لديه قدرة على النفاذ إلى قلوب المتعلمين وأن يسترعي انتباههم ، ويصل إلى وجدانهم ، ويعرف ما يؤدى إلى إثارتهم وتشويقهم ، وفي هذا يقول الإمام : " الفراسة من أقوى الصفات تأثيرا ، وهي من أخص صفات الذين يقودون الجماهير بفكرة أو مذهب أو رأي ، إذ بالفراسة يعرفون عيوب من يخاطبونهم ، ويعرفون ما يمكن أن يطبوا به من دواء ، ويعرفون منازع النفوس

(١) محمد أبو زهرة : مالك حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٩٩ .
(٢) _____ : الإمام زيد حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٨٣ .

واتجاهاتها ، وطرق حملها على الاستقامة ، وليس فيها الإكراه ، بل المسايرة أحيانا واجبة من غير أن ينغمس الهادي في الشر ".(١)

ولا تقتصر فراسة المعلم على مجرد فهم قدرات المتعلمين وميولهم فقط ، ومخاطبة كل منهم على مقدار طاقته ، بل إنها صفة تمكن المعلم من المجادلة والمناظرة ، والتصدي بالحجة والدليل من خلال الحوار والمناقشة ، وفي هذا يقول الإمام : " ربما كانت هي من أعظم العوامل في الجدال ليعرف المجادل من ملامح خصمه ما تكنه نفسه ، وما يجول بفكره ، فيأخذ له العدة في أقل مدة ، وقد يأخذ عليه طريقة إذا كان هو المتكلم ، ويرد على الدليل قبل إلقائه ، ويميت فكرته عند سنوحها ".(٢)

فالفراسة الصادقة صفة ينبغي أن يتصف بها كل معلم حتى يتمكن من فهم طلابه ، ومعرفة قدراتهم وإمكاناتهم ، وأن يقدم لهم ما يستطيعون تحمله والقيام به على أكمل وجه ، فالفراسة من الصفات التي يرتفع بها شأن المعلم ومكانته في نفوس طلابه وكل من يحيطون به ، وقد أكد ذلك الإمام بقوله : " الفراسة النافذة إلى نفوس الأشخاص التي تكشف كنه أمورهم من الصفات التي يعلو بها كل من يتصدى لإرشاد الناس وتعليمهم ، فإنه يستطيع أن يعرف خبايا أمراضهم فيعطيهم الدواء الشافي ، والغذاء الصالح الذي تقوى على هضمه ويتم به شفاء النفس وسلامتها وقوتها " (٣) ، فالمعلم الذي يتصف بالفراسة يكون أبرز من غيره من المعلمين وله مكانته ونفوذه بين طلابه والمحيطين به .

٤- الحلم والسماحة :

التسامح خلق إسلامي فاضل يترتب عليه نوع من الألفة والمحبة ، والقضاء على

(١)محمد أبوزهرة: الإمام الصادق حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٨٥ .
(٢)_____: تاريخ الجدل ، **مرجع سابق** ، ص ٢٩١ .
(٣) _____ : تاريخ المذاهب الإسلامية ، **مرجع سابق** ، ص ٤٠٩ .

أسباب الفرقة ، والاختلاف ، وتحقيق نوع من الوحدة والترابط ، فيقول المولى عز وجل في محكم التنزيل:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ آل عمران من: ١٥٩ ،

فهذه الآية دعوة صريحة واضحة من الله تعالى لنبيه ﷺ أن يكون رحيما متسامحا رحب الصدر في دعوته لقومه حتى لا ينصرفوا عنه ، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة فقال تعالى

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ الأحزاب من: ٢١

فيجب الاقتداء والتأسي به ﷺ. يقول الإمام في تفسيره هذه الآية : " بين الله تعالى حال النبي ﷺ وما انبعث منه في موقفه يوم أحد ، ولقد شكر الله سبحانه وتعالى لنبيه ذلك اللين ، إذ لم يؤاخذهم ، ولم يفرط في القول معهم ، لأن اللوم على الماضي ييئس النفس من غير جدوى ، وهو رجعة إلى الوراء والقائد الحكيم يتجه إلى الأمام ، ولا يلتفت إلى ورائه إلا بمقدار ما ينير له السبيل أمامه ، وبمقدار ما يجنبه خطأ وقع فيه ، وبمقدار ما يحفز همة من معه ، ويشحذ عزيمتهم ".(١)

فالإمام يؤكد على أن الرسول ﷺ المعلم الأول للبشرية قد استخدم مع أصحابه اللين والرحمة والتسامح بعد أن خالفوه يوم أحد ، ولم يوجه إليهم اللوم ، بل استخدم معهم أسلوب تربوي حكيم قائم على أساس تشجيعهم وتحفيزهم نحو تحقيق النصر والخروج من هذا الموقف، لأن المبالغة في اللوم تؤدي إلى شعور الشخص باليأس والإحباط والقنوط والإحساس بخيبة الأمل ، ومن ثم فإن ذلك يتوقف بالشخص ويبعده عن تحقيق أهدافه .

(١) محمد أبو زهرة : زهرة التفاسير ، جـ ٣ ، **مرجع سابق** ، ص ١٤٧٤ .

obeikandl.com

والمعلم في علاقته مع طلابه ينبغي أن تقوم على أساس من الحلم والتسامح اقتداء بسيد الخلق ومعلم البشرية النبي ﷺ ، حتى يتمكن المعلم من اجتذاب نفوس طلابه والقدرة على النفاذ إلى قلوبهم وعقولهم ، وهذا ما أكده الإمام بقوله : " إن الحلم والتسامح خلق قادة الفكر، والدعاة إلى الحق ، كما قال تعالى:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ النحل من: ١٢٥

وكما قال آمرا نبيه ﷺ وكل هاد ، بل وكل مؤمن

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾الأعراف: ١٩٩".(١)

والمعلم باعتباره من أهم وأبرز قادة الفكر وأكثرهم تأثيرا في نفوس طلابهم وجب أن يتصفوا بالحلم والسماحة ، لأن في الجفوة غلظة وعدم صفح ، ومن ثم يترتب عليه نوع من النفور ، وهذا ما أكده الإمام في تفسير قوله:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ آل عمران من: ١٥٩

حيث يقول : " الفظاظة خشونة المظهر ، والعشرة السيئة ، وسوء القول ، وتجهم الوجه ، وغلظ القلب وقسوته ، وقد نفى المولى عز وجل عن نبيه ﷺ الغلظة في المظهر والباطن ، فالغلظة في المظهر هي الفظاظة ، والغلظة في الباطن قسوة القلب ، وكلا الوضعين من شأنه أن ينفر ".(٢)

فالمعلم ينبغي أن يكون من طلابه رحب الصدر ، واسع الأفق ، كثير العفو ، قليل

(١) محمد أبوزهرة : الإمام الصادق حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، **مرجع سابق** ، ص ٨٢ .
(٢) _____ : زهرة التفاسير، جـ٣ ، **مرجع سابق** ، ص ١٤٧٥ .

الغضب لا يثور لأتفه الأسباب ، حتى لا يؤدي إلى نفور طلابه وبعدهم عنه ، نظراً لأن : "التسامح هو الذي يداوي القلوب المكلومة ، ويجتذب النفوس النافرة "(١)، فالمتعلم يشعر في هذه الحالة بنوع من الألفة والمودة والانجذاب نحو معلمه ، فيكون كلامه أكثر وقعا في نفسه ، فيلتزم بما يقوله ، ويقتدي به في كل أفعاله وأقواله ، والمعلم باعتباره أحد قادة الفكر والدعاة إلى الحقيقة وجب أن يتصف بالحلم والسماحة حتى يجتذب نفوس طلابه إليه ، وقد أكد ذلك الإمام بقوله : " لاشك أن شخصية الداعى لها أكبر الأثر فى الاستجابة فينبغى أن يكون أليفا موطأ الكنف ، رفيقا في المعاملة ، لينا من غير ضعف، متواضعا في غير صنعة ، حليما رزينا ، يتجه إلى معالى الأمور، ولا ينزل إلى سفسافها ، يحسون في حضرته بأنه منهم ، ويعلو بهم".(٢)

لذلك كان من الضروري عند اختيار المعلمين وإعدادهم ضرورة أن تتوافر فيهم هذه الصفة، لأنهم أمناء على جيل من الشباب أحوج ما يكونون إلى من يقربهم ويعاملهم معاملة حسنة ويوجههم إلى ما فيه الخير لهم ولأمتهم .

٥- الشجاعة والحزم :

إذا كان المعلم هو الأسوة والقدوة لتلاميذه فمن الضروري أن يتسم بالعديد من الصفات من أبرزها الشجاعة والجرأة في الحق ، فهي تساعد على تربية جيل من الشباب لديه روح الإقدام والمبادأة والقدرة على مواجهة كل ما يعترضه من صعاب لا يثنيه عن عزمه شيء ، والشخص الشجاع كما ذكره الإمام : " ليس هو المندفع الذي لا يعرف العواقب ونتائج الأعمال ، إنما الشجاع هو الذي يقدر الأمور ، ويتعرف نتائجها وغاياتها فإذا تبين له

(١)محمد أبوزهرة: المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ، **مرجع سابق** ، ص ٦٧ .
(٢)_____ : الدعوة إلى الإسلام ، **مرجع سابق** ، ص ٩١ .

obeikandi.com

أن الإقدام هو المجدي أقدم".(١)

فالشجاعة كما أوضح الإمام ليست تهور واندفاع كما يدعى البعض وإنما الشجاعة صفة يتحلى بها الشخص الذي لديه قدرة على تقدير المواقف والأمور، ولديه بصيرة نافذة تدرك عواقب الأمور، بحيث يتصرف حسب ظروف الموقف، والشخص الذي يتمتع بالشجاعة يكون لديه ثقة في نفسه وقدراته وإمكاناته، ومن ثم فإنه يستطيع مواجهة كل ما يعترضه من صعاب ومشكلات بكل حزم وشدة في شتى مناحي الحياة والمعلم الذي يتصف بهذه الصفة يكون أقدر على السيطرة والتحكم في طلابه من خلال بسط سيطرته ونفوذه عليهم ويكون أقدر على مواجهة المواقف التي تتطلب لونا من الشدة والحزم.

وليست القوة والشدة بالتي تؤدي إلى الغلظة والجفوة التي تنفر القلوب، وتضفي على الموقف نوع من الرهبة والخوف، كما ذكر ذلك الإمام: " ليس القوي من يكون قاسيا جافيا، بل هو إرادة حازمة، وعاطفة سامية، وقلب رحيم، ونفس عطوف، وجنان رابط وعقل ثابت متزن لا يطيش ".(٢)

فالقوي كما ظهر من وصف الإمام ليس من يتصف بالقسوة والجفوة والحزم في غير موضعه، ولكن الشخص القوي يكون صاحب شخصية قوية، يجمع كل مكارم الأخلاق من حلم وتواضع ورحمة وسماحة وقوة عقل واتزانه، فالمعلم الناجح هو الذي يتصف بقوة الشخصية، ويعمد إلى الشدة والحزم والقوة حسب الظروف والمواقف.

فينبغي أن يجمع المربى في عملية التأديب بين الترغيب والترهيب من غير عنف واضح، مما ينعكس أثره فى تنشئة المتعلمين على قوة الإرادة وتحمل المسئولية وحسن

(١)محمد أبو زهرة: الإمام الصادق حياته وعصره - آراؤه وفقهه، **مرجع سابق**، ص ٨٤.
(٢) _____: أبو حنيفة حياته وعصره - آراؤه وفقهه، مرجع سابق، ص ٣٩.

التصرف فى مختلف المواقف ، وقد أكد ذلك الإمام بقوله : " ويجب أن يجمع المربى بين الترغيب والحزم ، حتى لا تتمايع نفس الناشئ ، ولا تُكره فتسخط ، وقد قال على بن أبى طالب (إن للقلوب شهوات وإقبالاً وإدباراً ، فأتوها من قبل إقبالها ، فإن القلب إذا كره عمى)".(١)

والشجاعة لا تقتضي عدم الحرص والحذر من الإنسان كما قال ذلك الإمام : " وليست الشجاعة منافية للحذر ، بل إنه مسيطر عليها فهو يدفعها ، وهو يحكمها ، وقد يكون الخوف مع الشجاعة ، لأن الشجاع قد يتردد قبل أن يقدم فيوازن بين العمل ونتائجه ، والإقدام وغاياته ، فليس الشجاع هو الذي لا يخاف قط ، إنما الشجاع من يتغلب على بواعثه ، ويتقدم في تدبير محكم ، وصبر وقوة احتمال ، ولا تتصور الشجاعة إلا مع التدبر والصبر وقوة الاحتمال والإحكام ، وتعرف الغايات والمقاصد ".(٢)

فالشجاعة ليست تهورا واندفاع بل هي جرأة وإقدام يصاحبها حرص وحذر وتعرف النتائج والعواقب وحسن تقديرها ، فالمعلم الذي يتسم بالشدة والحزم والشجاعة يكون لديه قدرة على فهم وإدراك كافة المواقف ، وقدرة على حسن التصرف في كل موقف فهو مع شجاعته وشدته يتسم بالحذر وكثرة الاحتياط وقدرة على تدبر الأمور وحسن التصرف فيها، وبذلك يكون المعلم أقدر على مواجهة كل المواقف بكل حزم وثقة ، مما ينعكس أثره على أداء المعلم وعلى تلاميذه .

٦- الالتزام بمكارم الأخلاق :

يقول المولى عز وجل:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ القلم : ٤

(١) محمد أبوزهرة : تنظيم الإسلام للمجتمع ، **مرجع سابق** ، ص ١٧٩ .
(٢) _____ : خاتم النبيين ، جـ ١ ، **مرجع سابق** ، ص ٢٢٩ .

obeikandl.com

حيث يمتدح نبيه ﷺ، ويصفه بمكارم الأخلاق، فهو خير خلق الله، والالتزام بمكارم الأخلاق يجعل صاحبه على قدر من الاحترام والتقدير من جانب الآخرين، مما يجعل كلامه أكثر تأثيرا في النفوس، وبخاصة إذا كانوا ممن يقومون على أمر الدعوة، والمعلم باعتباره أحد دعاة الأفكار والحقائق، فهو بحاجة إلى الالتزام بمكارم الأخلاق حتى يكون أكثر تأثيرا في تلاميذه، وقد ذكر ذلك الإمام: " إن خلق الداعي يجذب إلى موضوع الدعوة، فلو كان الداعي فحاشا أو صخابا، أو يغلب عليه أن يلوم، وتقرع عباراته، لنفر منه الناس، وما استجاب له أهل الحق ".(١)

وكذلك المعلم باعتباره أحد قادة الفكر في تنشئة جيل من الشباب وجب أن يتصف بالخلق الطيب حتى يجتذب إليه طلابه ولا ينفرون منه، ويكون لكلامه أكبر الأثر في نفوسهم وشخصيتهم ويكون قدوة حسنة لهم، ومن الالتزام بمكارم الأخلاق أن يكون المعلم عاملا بعلمه، فلا يخالف قوله فعله، بل يكون هو المطبق الأول والملتزم بما يقول.

وقد أكد ذلك الإمام بقوله: " من صفات الداعي ألا يكون في مظهره مخالفة للدين ولأوامره، بل يكونون قدوة لمن يدعونهم بأن تكون الدعوة بعملهم أوضح من الدعوة بأقوالهم فإن الدعوة بالعمل توجد القدوة والأسوة، وذلك أدعى إلى الاتباع من القول ".(٢)

فالإمام يؤكد على ضرورة التطابق بين القول والفعل، حتى يكون الشخص الداعي هو البادئ بنفسه ،وحتى لا يكون ممن قال فيهم المولى عز وجل:

﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ ﴾ البقرة من :٤٤"

فهؤلاء دعوتهم لا تنفذ إلى القلوب ولا تصل إلى العقول، فلا يستجاب لدعوتهم ولا

(١) **المرجع السابق** : ص ١٨٩ .
(٢) محمد أبو زهرة : الدعوة إلى الإسلام ، **مرجع سابق** ، ص ٩٢ .

يكون لكلامهم موضع في النفوس ، فالمعلم ينبغي أن يكون عاملا بعلمه قبل طلابه حتى يكون لهم القدوة والأسوة يقتدون به في كل ما يقول أو يعمل ، وحتى لا يكون موضع نقد من الآخرين .

ومن مكارم الأخلاق التي ينبغي أن يتصف بها المعلم (الحياء) الذي هو شعبة من شعب الإيمان التي حرص عليها النبي ﷺ وحث المؤمنين على التحلي بها ، وعن مفهوم (الحياء) يقول الإمام : " الحياء صفة نفسية يظهر أثرها في العمل ، على ألا يفاجئ الناس بما ينفرهم أو بما لا يألفون ، لا يظهر منه ما يخالف الفضيلة ، فلا يعلن رذيلة ، ولا أمر لا يتلقاه الناس بالقبول ويعمل على إرضاء النفس الجماعية ما لم يكن إثما " (١) ، فالحياء خلق إسلامي يهذب الفرد في تصرفاته وأفعاله في كل ما يصدر عنه نحو الآخرين، ويوجهه إلى ما يحقق المصلحة الشخصية والجماعية في إطار من الذوق وحسن المعاملة واحترام الآخرين .

وعن الحياء وفائدته بالنسبة للمعلم في علاقته مع تلاميذه يقول الإمام : " إذا كان الخلق الطيب يجذب النفوس ويوجهها نحو الحق ، فإن الحياء أشد الأخلاق اجتذابا للنفوس ، ويجعل صاحبه لا يفاجئ الناس بما لا يسرهم ، بل يجئ إليهم من جانب ما يألفون ، فلا تنفر النفوس ، ولا تتشعب عن الحق ".(٢)

فالمعلم الذي يتسم بالحياء يكون أكثر قبولا وأكثر حبا واحتراما من تلاميذه فهم يألفونه ويحاولون التقرب منه والاستفادة منه والتأسي به ، فتجتمع النفوس حوله ويكون كلامه موضع قبول واحترام من جانب تلاميذه ، وتكون أقواله وأفعاله وكل تصرفاته موضع

(١) محمد أبو زهرة : خاتم النبيين ، جـ ١ ، **مرجع سابق** ، ص ١٨٦ .
(٢) **المرجع السابق** : ص ١٨٩ .

أسوة وقدوة لمن حوله .

هذه كلمة بسيطة وموجزة حول بعض الصفات التي يجب أن يتصف بها المعلم سواء كانت هذه الصفات فطرية وهبة من الله تعالى ، أم كانت مكتسبة من خلال التربية والتدريب والمران ، من خلال وجهة نظر الإمام ، وهذه الصفات ينبغي مراعاتها في عملية الاختيار والإعداد ، بحيث يجب أن تتوقف عليها وفي ضوئها عملية اختيار المعلمين نظراً لما لها من الأهمية والدور البارز في نجاح المعلم وبلوغه أهدافه ، ونظرا لأن هذه الصفات ليست موضع اتفاق محدد بين العلماء فقد اقتصرت على ذكر الصفات التي ركز عليها الإمام والتي تسهم في تنمية وإعداد المعلمين .

من خلال ما سبق عرضه فى هذا الفصل يتضح لنا بعضاً من ملامح الفكر التربوى من خلال كتابات ومؤلفات الإمام (أبوزهرة) حيث ينظر الى التربية على أنها عملية إصلاح وتغذية بشكل مستمر تهدف إلى تنمية كافة جوانب النمو الإنسانى ، فهى لا تهتم بجانب من هذه الجوانب وتهمل بقية الجوانب الأخرى ، بل إنها تهدف إلى تربية الأفراد تربية روحية تقوم على سلامة الاعتقاد ، وإخلاص النية لله تعالى ، والاتجاه إلى الحقيقة دون غيرها ، كذلك تهتم التربية بالجسم الإنسانى وتعنى به عناية خاصة من أجل سلامته والمحافظة عليه ، حتى يقوى على القيام بمهامه ومسئولياته ، كذلك تهتم التربية بالجانب الأخلاقى للمتعلمين حيث تهدف إلى تكوين شخصية تتحلى بالأخلاق الفاضلة وتتخلى عن الرذائل ، كذلك تهدف التربية إلى إعداد الأفراد وتنشئتهم على الاندماج مع الآخرين والعمل الجماعى من خلال التربية الاجتماعية حيث أن الاهتمام بجميع هذه الجوانب يؤدى الى تكوين شخصية متوازنة فى جميع جوانب النمو.

ويؤكد الإمام (أبوزهرة) على أن تربية الناشئة ينبغى أن تمر بمراحل ثلاثة ، وهذه

المراحل ميسرة للجميع حسب قدرات الشخص ومواهبه ، فالمرحلة الأولى يتربى فيها الجميع تربية واحدة دون تفريق بينهم ، وهى بمثابة القاعدة العامة تهدف إلى تنمية كافة جوانب النمو ، ثم تأتى المرحلة الثانية من خلالها يتم توجيه المتعلم حسب قدراته ومواهبه سواء نحو مواصلة التعلم ، أو التوجه نحو مهنة من المهن التى يحتاج إليها المجتمع ، ثم تأتى المرحلة الأخيرة وهى مرحلة التعمق والتخصص لمن تؤهله مواهبه إلى مواصلة ذلك وفى ذلك تحقيق لكافة مبادئ التربية سواء من خلال مراعاة ما بين المتعلمين من فروق فى القدرات والاستعدادات ، أو من خلال تحقيق نوع من الحرية والديمقراطية فى اختيار نوعية التعليم التى تتفق مع الشخص ، ويتحقق من خلالها مبدأ تكافؤ الفرص فى التعليم .

كذلك اهتم الإمام خلال هذا الفصل بإبراز جانب هام وهو ركائز العملية التعليمية سواء العلم ومدى عناية الإسلام بالعلم على أساس أن الدعوة إلى العلم والتعلم هى بداية رسالة الإسلام ، وهو غاية من غايات الإسلام ، وهدف من أهدافه ، عملاً بأوامر الله تعالى وتنفيذاً لتعاليم نبيه ﷺ كما ركز على المتعلم على أساس أنه محور العملية التعليمية وهو الأساس الذى تقوم من أجله هذه العملية ، وعلى المعلم على أساس أنه عنصر أساسى من عناصر العملية التعليمية ، وذكر مجموعة من الصفات سواء كانت هذه الصفات فطرية يولد الإنسان مزوداً بها ، أم مكتسبة من خلال التدريب والمران والتنشئة ، حيث أكد على ضرورة إبرازها وتوافرها سواء بالنسبة للمعلم أو المتعلم ، حتى تؤتى العملية التعليمية ثمارها ، وتحقق أطيب النتائج .